

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
سلسلة كتب مترجمة للعربية (٢)

خمس سنوات من عمري (١٨٩٤-١٨٩٩)
جزيرة الشيطان

تأليف: ألفرد دريفس
ترجمة: بشرى رسوان
مراجعة لغوية: د. جمال الجزيري

سلسلة كتب مترجمة للعربية (2)

سلسلة تصدر عن دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

المؤلف: ألفرد دريفيس

المترجمة: بشرى رسوان

العنوان: خمس سنوات من عمري (1894-1899): جزيرة الشيطان

التصنيف: سيرة ذاتية

الطبعة الأولى: يناير 2017

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

تصميم الكتاب ومراجعته لغويا: د. جمال الجزيري

الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها الدار، الرجاء قراءة التعريف بمجموعة دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني لمعرفة مواصفات تجهيز الملف:

/https://www.facebook.com/groups/Ketabat.Jadidah.Ebook.Publishers

وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل الدار:

Ketabat.jadida@gmail.com



الطبعة الأولى

1438 هـ -2017م

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
رقم الإيداع في دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
2017/1/31/580

رقم الكتاب في السلسلة: 2
السلسلة: كتب مترجمة للعربية
المؤلف: ألفرد دريفيس
العنوان: خمس سنوات من عمري (1894-1899): جزيرة الشيطان
المترجمة: بشرى رسوان
التصنيف: سيرة ذاتية
الطبعة الأولى: يناير 2017
عدد الصفحات: 193
الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
رقم الإيداع في الدار: 2017/1/31/580



العنوان : خمس سنوات من عمري

جزيرة الشيطان

1894-1899

المؤلف :ألفرد دريفيس

اللغة الفرنسية

ISO-8859-1

العنوان الأصلي

CINQ ANNÉES DE MA VIE

سنة 1901

المؤلف :ألفرد دريفيس

الترجمة : بشرى رسوان

التدقيق اللغوي : الدكتور جمال الجزيري

خمس سنوات من عمري

1894-1899

في هذه الصفحات أسرد تفاصيل حياتي خلال السنوات الخمس التي قضيتها معزولا عن عالم الأحياء

ألفرد دريفيس

الإهداء

إلى أبنـائـي

II

مرت سنة 1893 من دون أحداث تُذكر عدا أنني حظيت بابنتي الأولى جان. سنة 1894 كانت نهاية إقامتي في مقر الجيش، تم اِخْتياري للتدريب الدوري في فوج المشاة في باريس، بَدأتُ هذا التدريب في الأول من أكتوبر وفي الثالث عشر منه تَلقيتُ ملاحظة من المركز مفادها أنه عليّ الالتحاق بوزارة الدفاع للتفتيش العام، وذلك في التاسعة صباحا من يوم الاثنين، بَدت لي الساعة مبكرة جدا لأنه عادةً ما يقام التفتيش مساءً، ثم كان يتوجب عليّ أن أرتدي زيّي البورجوزي، وسرعان ما نَسيتُ هذه الملاحظات بمجرد أن أنهيتُ قراءة الدعوة.

كانت ليلة الأحد عادية جدا، تعشينا كما العادة أنا وزوجتي عند والديها، كنا غاية في السعادة ككل ليلية نقضيها في جو عائلي. في صبيحة الاثنين رافقني إبني بيير ذو الثلاث سنوات والنصف إلى الباب، وكان قد اِعتادَ مرافقتي عندما أخرج، إنها إحدى ذكرياتي التي أستحضرها في

لياليّ القاتمة وأعيش تلك اللحظات التي عانقت فيها ابني لآخِر مرة.

كانت صبيحة الاثنين جميلة وطرية، الشمس فردت أجنحتها في عباب السماء، مُعلنة عن بداية يوم رائع، كنتُ قد وَصلتُ قبل الوقت المحدد بقليل، فأخذتُ أتجول أمام الواجهة الأمامية لمبنى الوزارة، بعدها صَعدتُ إلى المكتب، وعند دخولي استقبلني القائد بيكار الذي بدا وكأنه كان في انتظاري، دعاني إلى مكتبه، فُوجئت بغياب كل زملائي الضباط لأنه عادة ما كان يتم تفتيشنا في مجموعات. وبعد محادثات تافهة، قادني القائد بيكار إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، وبدلاً من أن يَستقبلني رئيس الهيئة استقبلني القائد دي باتي لو كلام بزيٍ نظامي وثلاثة أشخاص بلباس مدني كنتُ أجهلهم إلى ذلك الحين (هؤلاء الأشخاص كانوا السيد كوشفير رئيس الأمن وسكرتيره الخاص، ومسؤول الأرشيف السيد كريبلن). قال القائد دي باتي:

- الجنرال قادم وفي انتظاره، هل بإمكانك أن تكتب لي خطابا؟

كان طلبه غريبًا نوعا ما، وخاصة في ظروف كَهذه. جَلستُ إلى طاولة صغيرة مُجهزة مسبقًا، وكان إلى جانبي القائد دي باتي يترصد أصابعي بعيونه. وبعد أن أتممت ملءَ إحدى استمارات التفتيش، أملى عليّ الخطابَ الذي تضمن بعض الأجزاء من رسالة الاتِّهام التي سأعرفها فيما بعد تحت اسم (البوردورو). خلال الإملاء قال القائد دي باتي :

-أنتَ ترتعش (في الحقيقة لم أكن كذلك، في جلسة الدفاع لسنة 1894 أكد أنه لاحظ أنني لا أرتعش أثناء الكتابة، فظنَّ أنه أمام ممثل بارع، لهذا حاول زعزعة ثقتي). فاجأتني كثيرًا هذه الملاحظة والمعاملة غير اللائقة من القائد دي باتي، غير أنه لم يتبادر إلى ذهني أي شك، فاعتقدتُ في الحقيقة أنه يرى خطِّي سيئًا، وكانت أصابعي باردة لأن درجات الحرارة منخفضة في الخارج ولم أكن

ولجت إلى الدفء إلا قبل دقائق. قلتُ له: "يداي باردتان" وواصلتُ رصَّ حروفي من دون رعشة. حاول القائد دي باتي مجددا، فقال بعنف: "انتبه هذا خطير!". لم أنبس ببنت شفة، بل أكملت الكتابة، محاولا تحسين خطي. منذ تلك اللحظة، وكما أشار القائد دي باتي في مجلس الدفاع، اعتبر أنني ذو دم بارد ولا يوجد داعٍ لإتمام الاختبار. مسرحية الإملاء كانت مجهزة من قبل بكل حذافيرها، فلا يمكن أبدا أن تكون وليدة الصدفة. عندما انتهى الاملاء نهض القائد دي باتي ووضع يده على كتفي قائلا :

-باسم القانون أوقفك؛ أنتَ متهم بالخيانة العظمى.

تمتمتُ ... اعتراضًا على هذا الاتهام الشائن. قام السيد كوشفر وسكرتيره بتفتيشي، ولم أقاوم أبدا، كنتُ أصرخ: "خذوا مفاتيحي، افتحوا كل شيء في بيتي .. أنا بريء". وأضفتُ قائلا: "على الأقل هاتوا دلائل الجريمة التي تزعمون أنني ارتكبتُها".

"الدلائل دامغة"، ردوا عليّ دون تحديد هذه الدلائل، واقتدتُ بعدها إلى السجن برفقة القائد هنري ورجل أمن آخر، وفي الطريق سألني القائد هنري عن تهمتي، وكان على علم بكل ما يجري، لأنه كان موجودًا خلف إِحدَى الستائر طيلة المسرحية، إجابتي كانت موضوع تقرير من القائد هنري، وهو تقرير من الأكاذيب المحضة كالتحقيقات التي سأتعرض لها بعد ذلك .

عند وصولي إلى السجن، وُضِعتُ بسِرِّيَّةٍ تامة في زنزانة كانت نافذتها تطل على باحة السجناء. قلصوا دائرة حريتي إلى الصفر، حُرمتُ من كل اتصال مع عائلتي، لا شيء تحت تصرفي، لا أوراق.. لا ريشة.. لا حبر.. لا قلم، لا شيء بحوزتي.

خلال الأيام الأولى، وُضعتُ تحت نظام المساجين، بعد ذلك، تم إلغاء هذا النظام غير القانوني. الرجال المكلفون بتقديم طعامي كانوا مصحوبين دوما بشاويش من الحرس وشُرطي، وهذا الشرطي فقط هو الذي لديه مفاتيح زنزانتي

كلما فكرت في وضعي في هذه الزنزانة الموحشة، بعد مشهد الاتهام الفظيع والوحشي الذي وُجِّه لي، فكرتُ في كل الذين تركتهم منذُ ساعات سعداء، أصرخ ملء قلبي وأنفث كل حنقي في هذا الفراغ الموحش، أذرع الزنزانة جيئة وذهابًا، أضربُ رأسي بعرض الحائط، الجدران وحدها كفيلة بإخماد هذياني ... إلى أن أتى قائد السجن رفقة الشرطي الرئيس، وسعدتُ بأنني صار بإمكاني أن أوجِّهَ اِمتناني للقائد فورزينتي مدير السجون العسكرية، الذي استطاع الجمع بين واجبات الجندي ومشاعر الإنسانية.

خلال السبعة عشر يوما التالية، تعرضتُ لعدد من الاستجوابات والتحقيقات من القائد دي باتي الذي تولى لعب دور الشرطة القضائية، كان يزورني في وقت متأخر من كل مساء صحبة كاتبه و مسؤول الأرشيف غريبلين ، يُملي عليّ بعض الجمل المبتورة ويسألني (إن كان هذا خطي؟) بغض النظر عما كان يحدث في التحقيقات من تلميحات غامضة لا أفهمها، و عن انسحابه المسرحي، تاركًا عقلي

في مواجهة ألغاز يستعصى حلها ، كنتُ أجهل للآن ما هي تهمتي؟ ما هو أساس هذا الاتهام؟ وبرغم إلحاحي الشديد، لم أتكمن من الحصول على أية توضيحات بخصوص الاتهام الشنيع ضدي، كنتُ كمن يصارع طاحونة هواء. كيف يعقل أن لا أجن!؟ أيام بلياليها من دون أوراق ولا حبر ولا شيء في متناولي، رأسي لا تهدأ، أرتب الجمل وأصيغها، تلك التي تمكنتُ من انتزاعها من القائد دي باتي، غير أنها لا تزيدني إلا تشويشا، رأسي في فوضى عارمة. وذات الأسئلة التي تحملني إلى ذات المتاهة. ضميري الحي كان يملي علي واجباتي ويهمس لي مراراً: "لو متَّ، سيعتقدون أنكَ مجرم ، مهما يكن يجب أن تعيش لإثبات براءتك بوجه هذا العالم". في اليوم الخامس عشر من اعتقالي، أعطاني القائد دي باتي صورة من الرسالة التهمة المسماة (البوردورو)

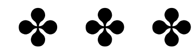
هذه الرسالة لم أكتبها قط

III

بعد الانتهاء من تحقيقات دي باتي ، أعطى الجنرال مرسيي وزير الدفاع أوامره بفتح تحقيق رسمي عني، كان سلوكي لا غبار عليه، لا شيء في حياتي الخاصة ولا في معاملاتي ولا في علاقاتي، لا شيء يثير الشكوك. في الثالث من نوفمبر، وقَّع الجنرال صوسيي محافظ باريس أمر التحقيق الرسمي الذي أوكله للقائد أورميشفيل (مخبر مجلس الدفاع) في باريس، ولم يتوصل هذا القئد إلى أي دليل واضح، فتقريره كان نسيجا من الأوهام و المغالطات والأكاذيب. وفي الجلسة الأخيرة، أكد مفوض الحكومة أن كل الأدلة اختفت عدا (البوردورو)، بالرغم من أن مديرية الشرطة أجرت تحقيقا حول حياتي الشخصية، وقدمتْ تقريرا رسميا ايجابيا عني، في حين قدم غيني (عميل المخابرات في وزارة الدفاع) تقريرا مجهولا من المغالطات، إنه التقرير الوحيد الذي عرض في قضية 1894، في حين أن الأول الذي سُلم للقائد هنري اختفى تماما، ولم يظهر إلا في المحكمة العليا في سنة 1899

بعد سبعة أسابيع من التحقيقات كنت فيها رهن الاعتقال بسرية تامة، خَلُصَ مفوض الحكومة القائد بريسه في الثالث من ديسمبر 1895 إلى ضرورة توجيه الاتهام (حيث أن لائحة التهم كافية)، اِسْتِناداً إلى تقارير متضاربة لخبراء الخطوط شهد فيها الخبيران السيد كوبير خبير خطوط في بنك فرنسا والسيد بلتي لصالحي، وشهد خبيران ضدي، وهما السيد تيسونيار والسيد شرافي. كانت هناك عدة اختلافات بين كتابتي وخط (البوردورو)، لكن السيد برتيون (غير المتخصص) حسم الأمر وشهد ضدي. عندها وثَّقتُ صلتي بالسيد ديمونج المحامي الذي ساندني طيلة فترة محنتي

في الخامس من ديسمبر، حصلتُ أخيرا على الإذن بالكتابة لزوجتي



الثلاثاء الخامس من ديسمبر 1894

عزيزتي لوسي

أخيرا، أتمكن من الكتابة لكِ، أخبروني أن المحاكمة ستكون في التاسع عشر من هذا الشهر، لا كلمات باستطاعتها وصف ما أشعر به، لأن فجيعتي أكبر من أوراقي. أتذكرين عندما كنتُ أقول لكِ كم نحن سعداء!! كل شيء بخير. ثم يُفاجئنا القدرُ من حيث لا ندري ويهدينا حزنا كبيرا، أنا متهم بأفظع جريمة يمكن أن يرتكبها جندي، اليوم أعتقد أنني في كابوس رهيب، في هوة تبتلعني، أودُّ أن أنفض عني كل شي

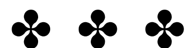
الحقيقة ستظهر في يوم ما، ستشرق شمسها، ضميري مرتاح وهادئ، فعلتُ دوما ما يتوجب فعله، قمت بالأشياء كما ينبغي، لم أخضع ... في ظلماتِ سجني، كنتُ مسحوقا وخائفا، وحدي أواجه ذاتي، شعرت حينها أنني سوف أجن، كنتُ أهوي إلى القعر، لكن وعيي يهمس لي ويقول: "ارفع رأسك وواجه العالم، قم؛ هذا اِمْتِحان صعب،

لكن عليك مواجهته". لن أكتب لكِ مطولا، يجب أن تصلك هذه الرسالة الليلة

قبلاتي لكِ أحبكِ أعشقكِ

قبلاتي لطفلينا، عندما أفكر فيهما، تتكدس الدموع في جوف حنجرتي

ألفرد



ليلة قبل بداية الجلسات، كتبتُ لزوجتي هذه الرسالة كنتُ واثقا في عدالة وضمير القضاة

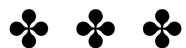


غاليتي لوسي

(غدا نهاية معاناتي، غدا سأمثل أمام القضاة، برأس مرفوع وضمير مرتاح، كان الامتحان قاسيا ورهيبا، سأعود حبيبتي أفضل من السابق، سوف أتفرغ لكِ لطفلينا ولعائلتينا، سوف أعيش ما تبقى من عمري لكِ، كما قلتُ لكِ

مررتُ بنوبات رهيبة، بلحظات من الجنون والتيه، بمجرد التفكير أنني متهم بأشنع وأفظع الجرائم، مستعد أنا للمثول أمام الجنود كجندي ليس لديه شيء ليخفيه، سوف يدركون من ملامح وجهي، سوف يقرأون في روحي أنني بريء . لم يعد ضروريا حزنك، نامي حبيبتي واحلمي بأيامنا القادمة عندما سنجتمع مجددا في أحضان بعضنا وننسى هذه الأيام العابرة الحزينة)

ألفرد



في التاسع عشر من ديسمبر سنة 1984، بدأتْ جلسات الحكم المغلقة، رغم احتجاجات المحامي، أردتُ بشدة أن تكون جلسات الاستماع علنية ليشهد العامة براءتي

عندما دخلتُ القاعة صحبة ملازم من الحرس الجمهوري، لم ألمح أي شيء .... لم أسمع أي شيء، كنتُ أجهل ما يدور حولي، كنتُ فقط أفكر في الكابوس الذي

يثقل كاهلي منذ أسابيع عدة، في الجريمة الشنعاء التي سُجنتُ من أجلها (الخيانة العظمى)، لم يكن حلما ما أمرُّ به، كان واقعا مُرًّا

لمحتُ في المنصة قضاة مجلس الدفاع، ضباط مثلي، زملائي الذين سيشهدون أخيرا براءتي، عندما جلستُ أمام محاميّ تفرست في القضاة، كانوا ساكنين وخلفهم القضاة المناوبين، الكوموندو بيكار، والسيد ليبين ممثل وزراة الدفاع، ومفوض الشرطة، وفي قبالتي الكومندو بريست.

الأحداث الأولى من المعركة التي خاضها المحامي السيد ديمونج ليتمكن من اعلان الجلسات .. الاعتراضات العنيفة من مجلس الدفاع.. إخلاء القاعة.. كل هذه الأشياء لم تؤثر على هدفي المتمثل في دحض كل الاتهامات

سمعت الشهادة الحاقدة والكاذبة للقائد دي باتي وشهادة الزور للقائد هنري عن المحادثة التي درات بيني

وبينه في طريقنا من الوزراة الدفاع إلى السجن يوم القبض عليّ، نظرتُ إليهما الواحد تلو الاخر بهدوء تام، لكن عندما عاد هذا الأخير إلى المنصة للمرة الثانية حيث قال إن أحد الضباط النزهاء أبلغه أن الخائن هو مِن ضباط المكتب الثاني، قمت بغضب وطالبته باسم الشخص الذي اعتمد عليه لمعرفة هذه الترهات. وبشكل مسرحي وضع يده على صدره وقال: "عندما يكون الجندي خائنا، فلا يردد السر حتى بينه وبين رأسه"، ثم التفتَ ناحيتي وأشار، قائلا: "وهذا هو الخائن". ورغم كل اعتراضاتي، لم أستطع إبطال أقواله

سمعت تقارير الخبراء، ولم أهتم نهائيا لشهادة دي برتيون لأنه بدا مجنونا. في الجلسة الرابعة والأخيرة، قرر مفوض الحكومة إلغاء كل الدلائل واحتفظ بالبوردورو فقط كدليل وحيد وقال: " لم يتبقَّ غير البوردورو، لكنها كافية ليأخذ القضاة قرارهم"

عرفت حينها أنني سوف أدان على جرم لم أرتكبه قط

IV

كم كانت خيبتي كبيرة ليلة إدانتي، كانت الأكثر مأساوية من وجودي المأساوي في حد ذاته، في رأسي كانت تدور الأفكار الأشد غرابة، أنا وعقلي وحدنا، كنت متعبا للغاية، غاضبا من كل هذا الظلم، من اللاعدالة، ولا شيء يشدني إلى هذا العالم سوى صور عائلتي العالقة بجدار ذاكرتي، هي وحدها تدفعني لارتكاب فعل الحياة. قررتُ الانتظار، وفي اليوم التالي كتبُت هذا الخطاب إلى زوجتي



الثالث والعشرون من ديسمبر 1894

عزيزتي لوسي

مثخم بالحزن... مستاء ... أعرف إلى أي حد تحبينني، وأدرك أن رصاصة القدر اخترقت عمق صدرك، أفكر بكِ، ما الأكثر فظاعة من أن تكون بريئا وتحظى بحياة هانئة ثم تُتَّهَم بجرم شائن كهذا؟! أشعر أحيانا أنني في

حلم مخيف لا أكثر. لأجلكِ فقط أنا هنا بين الجدران الباردة، لأجلكِ حبيبتي لازلتُ أتحمل، أقف منتصبا بوجه جلادي لا أعرف أي حد سأتحمل؟ تستنزفني هذه الخيبات وتكسرني جدًّا

لا أحد غيرك قادر على ترميم ذاتي، أعوّل على هذا الحب.. على حبك الذي لا ينضب...لقد وقعتُ على الاستئناف ... لا أجرؤ على ذكر الأطفال، إذ تيبس الكلمات في جوفي، شُعوري بالمرارة لا يوصف، لولاكِ لكنتُ أنهيتُ حياتي البائسة، لكن خوفي من أن أزيد تعاستك شلَّ يدي، أن يشهد إنسان مثلي كل هذه الفظاعة بالرغم من إدراكه العميق أنه لم يرتكب حتى أقل الحماقة، صدقيني إنه لعذاب عظيم، سأعيش من أجلكِ، لا بد من البحث عن الحقيقة في السماء أو تحت الأرض، حتى وإن خسرنا كل ثروتنا، يجب، بكل السبل، أن يمسح هذا العار.

لستُ شجاعا بما يكفي لأكتب لكِ أكثر.

قبلاتي للأطفال

لوالديك، لكل الناس

ألفرد

حاولي أن تحصلي على رخصة لزيارتي لأنني أعتقد أنه الآن لا يمكنهم رفضه

✤ ✤ ✤

في نفس اليوم عقَّبَتْ زوجتي

✤ ✤ ✤

الثالث و العشرون من ديسمبر 1894

كلنا منهارون وخائفون، أعرف بَسَالَتَكَ، أحبك أنتَ أيها البائس السيء الحظ، أرجوك تحمَّلْ هذا العذاب بصبر، كل حياتنا وكل ثروتنا ستوظَّفُ للبحث عن الجناة، وسنجدهم ... يتوجب ذلك. لقد قضينا ما يقارب خمس سنوات من السعادة، سنعيش على هذه الذكريات، وفي يوم ما ستظهر الحقيقة، وسوف يغمرنا الفرح من

جديد، سيحبك أولادك، سنجعل من ابنك رجلا مثلك، يشبهك، لا يمكن أن أختار له قدوة غيرك

أتمنى أن أتمكَّنَ من زيارتك ، في جميع الحالات تأكد من شيء واحد وهو أنني سأتبعك إلى أبعد مكان ستكون فيه، إلى نهاية العالم أتبعك، إذا سمح لي القانون أن أكون معك سأفعلها . ختاما، تَحَلَّ بالشجاعة، لا يجدر بك أن تموت، من أجل أطفالنا ومن أجلي .

لوسي





الثالث والعشرون من ديسمبر 1894 مساءً

أوتعلم أنني أحبك، بمعزل عن كل الأشياء، هذه المحنة الكبيرة قربتنا أكثر، اعلم فقط أنه أينما ذهبت أينما أرسلوك سأتبعك، ألازمك كظلك، نحن الاثنان سنتحمل

سويا، سوف نعيش أحدنا من أجل الآخر، نتقاسم الهم ونربي أبناءنا ونمنحهم القوة لمواجهة هذه الحياة، عاجزة عن الحياة من دونك، أنت عزائي، وأملي الوحيد أن أقضي بقية عمري إلى جانبك، لقد كنتَ ضحية، وسوف تتحمل هذا العقاب البغيض، عدني فقط أنك ستتحمل

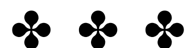
لوسي



من دون أي أمل وقعت على الاستئناف. علمت بعد ذلك أنه، ولأسباب إجرائية، لن يعرض أمام محكمة النقض العسكرية. كنت أجهل إلى ذلك الحين أن حكم الإدانة الصادر بحقي كان باطلا وغير قانوني.

تمر الأيام ثقيلة في انتظار الرد، وأنا ممزق بين واجبي وبين هذا العذاب غير المستحق الذي لحقني. تبادلنا أنا وزوجتي عدة خطابات طويلة (لم تتمكن من الحصول بعد على إذن زيارة)

من زوجتي

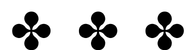


الرابع والعشرون من ديسمبر 1894

يتسرب البؤس إلى روحي كلما تخيلت العذابات التي تتحملها، أعجز عن إبعادك مسافة شبر عن تفكيري لثانية واحدة، أتخيل حجرتك المظلمة ، أتصورك فريسة لكل الأفكار السوداء، أتذكر بمرارة تلك النهارات البعيدة التي أمضيناها معا وأقارنها بما نعيشه الآن، كيف كنا سعداء؟ كيف كُنتَ متفانيا ومخلصا في خدمتي عندما كنتُ طريحة الفراش؟! كيف كُنتَ أبا مثاليا لأبنائي، لا أتوقف عن التفكير في كل هذا، يمر في عقلي كشريط يُعيد نفسه، تعيسة لأنك بعيد، تعيسة لأنني أشعر أني وحيدة، يجب، بل من الضروري، أن نكون معا.. لا يمكن لأحدنا أن يوجد من دون الآخَر، كن قويا صديقي

لوسي



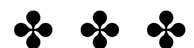


الخامس و العشرون من ديسمبر 1894

أبكي وأبكي، أزفر خيباتي كلها .. لا شيء سوى خطاباتك وحدها تنتشلني من ضياعي، وحدها تواسيني، عِش من أجلي، اصمد .. لنكافح معا لاكتشاف المُذْنب، ماذا سأصبح أنا دونك؟؟؟ لا شيء يربطني بهذا العالم سواكَ، سأموت حزنا من دون أمل ملاقاتك مجددا وملامسة قلبك (بيير يفتقدك، لا أجد سوى الدموع للرد على أسألته، هذا الصباح سألني إن كنتَ ستعود مساءً؟؟ قال لي: "أفتقد أبي جدا جدا"، جان تغيرتْ كثيرا، بدأت تتكلم بطلاقة، تكون جملا وتتجمل كثيرا، تَحَلَّ بالشجاعة، سوف نستعيدها يوما ما، أحلامنا

لوسي

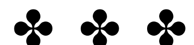




السابع والعشرون من ديسمبر 1894

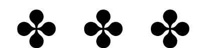
كل يوم، ذات الوجع ذات الانتظار وذات الطقوس، الكتابة لك لا تشعرني بالتعب، أسعد أوقاتي هي تلك التي أكون معكَ فيها أحدثكَ، لا أفعل شيئا سوى الكتابة لكَ والبكاء، خطاباتك تأخذني إلى الجنة، ممتنة لك

سوف أمنح الأطفال هدايا منكَ ، أعرف أنهم ليسوا بحاجتها ليتذكروكَ، لقد كنت أبا مثاليا لهم، لا يسهل نسيانك ، ببير يفتقدك.. آه يا عزيزي المسكين كم تعاني لأنك هناك حرمت منهما، لكن تحلَّ بالشجاعة، سيأتي اليوم الذي نجتمع فيه مجددا . لا تهتم بما يعتقده الناس، أنتَ تعرف كيف تغير الناس أراءها، يكفي أن تعلم أن كل أصدقائنا، كل الذي يعرفونك، يبحثون عن حل لهذا اللغز



الحادي والثلاثون من ديسمبر 1894

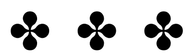
علمتُ اليوم أنه قد تم رفض الاستئناف وفي المساء نفسه زارني الكومندو دي باتي يسألني إن كنتُ ارتكبتُ أي حماقات، صرخت بوجهه أنني بريئ، بعد ذهابه كتبتُ هذه الرسالة لوزارة الدفاع



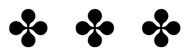
سيدي الوزير

لقد زارني - بأوامر منكم - الكومندو دي باتي الذي أكدتُ له مجددا أنني بريء، وأنني لم أرتكب أدنى حماقة، أنا الآن مُدان ولا أطلب أي عفو، لكن وباسم شرفي الذي أتمنى أن أسترده في يوم من الأيام، أتوسل إليكم أن تستأنفوا التحقيقات، أن تستأنفوا البحث عن الجاني، البحث هذا هو طلبي الوحيد

ألفرد دريفيس



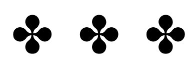
كتبتُ بعدها للمحامي لأخبره عن الزيارة و قد سبق وأعلمت زوجتي عن رفض الاستئناف



الحادي و الثلاثون من ديسمبر 1894

عزيزتي لوسي

لقد تم رفض الاستئناف، وهو شيء متوقع، أطلبي ترخيصا بزيارتي، لقد اِقترب موعد (التجريد من الرتبة)، سأواجهه بعزة نفس وبضمير مرتاح، سأكون كاذبا إن قلتُ لكِ إنني لن أعاني ......



✤ ✤ ✤ عقبت زوجتي

الأول من يناير 1895

أرسلتُ البارحة بعد الظهر طلب التصريح بالزيارة وعبثا اِنتظرنا ....الرد قد يأتي غدا لأنه أعتقد ما من سبب

للرفض هذه المرة. إنها وحشية وبربرية . آه ! يا صديقي المسكين لا أحتاج شيئا سوى عناقك

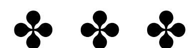
لوسي

✣ ✣ ✣

أخيرا تمكنتْ زوجتي من أخذ تصريح بزيارتي، المقابلة تمت في قاعة الزيارات، غرفة رمادية بحاجزين متوازيين في الوسط، زوجتي كانت في جهة وأنا في الجهة الأخرى، في هذه الظروف الوضيعة سمحوا لي برؤيتها بعد أسابيع من الفراق، لم أتمكن من تقبيلها، من ضمها إلى صدري ، لكنني كنتُ سعيدا برؤية هذا الوجه العزيز، حاولتُ أن أدقق في ملامحها وتفاصيلها لأقرأ بقايا الحزن ....

بعد ذهابها كتبتُ لها

الأربعاء، الخامسة



غاليتي لوسي

سأكتبُ لكِ هذه الكلمات لتستقبلك غدا صباحا عند استيقاظك، سرني حديثنا رغم إنه كان من خلف السياج، هذا اللقاء كان كطوق النجاة، كنتُ أرتعش عند نزولي، كدت أفقد توازني في هذه الساعة، يداي ترتجفان، هذا اللقاء هزني بعنف، بعثرني، لم أطلب أن تبقي معي لفترة أطول لأنني كنتُ متعبا، بحاجة للتواري بعيدا لأبكي ، لا تظني أنني لا أتمتع بالصلابة، لكن بعد ثلاثة أشهر من العزلة وهن جسدي

أذهلتني شجاعتك وحبك.. لأجلي أكملي عزيزتي، لنفرض احترامنا على العالم ، بالنسبة لي أريد شرفي ومستعد لكل شيء ولا شيء سيمنعني من الوصول إليه. اشكري بالنيابة عني كل الناس، أشكري نيابة عني السيد ديمونج لكل شيء فعله من أجل تبرئتي، قولي له إنني أعوِّل عليه

ألفرد



الزيارة الأولى تمت في السجن، كانت الظروف غير مواتية وتراجيدية لدرجة أن القائد فورنزتي طالب وحصل على تصريح لأتمكن من ملاقاة زوجتي في مكتبه وبحضوره. في زيارتها الثانية وعدتها أن أعيش وأن أواجه بشجاعة الحفلة التي تنتظرني، في أعقاب زيارتها كتبت لها هذه السطور

(تسلل بعض الهدوء إلى صدري، رؤيتك وعناقك أسعداني، ممتن لأنكِ منحتني هذا الكم الهائل من السعادة ، أهواك حبيبتي وأتمنى أن ينتهي كل هذا)

قابلتُ أيضا أخي ماتيو في الثالث من يناير، علمتُ أن بعد غد صباحا حفل التجريد من الرتبة، وجَهزتُ نفسي؛ كنتُ أنتظره .... سأصمد أعدك

V

السبت، الخامس من يناير 1895، ببسالة واجهت الموقف

قبل الحفل الحزين (التجريد من الرتبة) انتظرتُ لساعة في قاعة ضابط الصف في ثكنة المدرسة العسكرية ، خلال تلك الدقائق الطويلة، مرت برأسي كل ذكريات الأشهر البغيضة، نفثتها جملا بلا معنى ، تذكرت آخر زيارة للقائد دي باتي دون كلام في سجني، تذكرت كيف كنتُ أعترض بشدة ضد الجريمة الشنعاء التي اتهمتُ بها، تذكرتُ أنني راسلتُ الوزير لأخبره أنني بريء، عمد الكابتن رونو بلا ضمير إلى تسجيل خطرفاتي هذه وتشويهها وخلق أسطورة من الاعترافات التي لم أدرك تواجدها إلا في يناير سنة 1899

عندما حانت الساعة، رافقني أربعة رجال وضابط إلى وسط الميدان، وفي تمام التاسعة صباحا رفع

الجنرال دراس رئيس هيئة التنفيد الأسلحة، ثم بعد قراءة الحكم، صرختُ في الجموع

(عسكري، تجردون بريئا، تنتزعون شرف بريء)

عاشت فرنسا ... عاش الجيش)

اِقْتَرَبَ مني ضابط صف من الحرس الجمهوري بسرعة واِنتَزَعَ كل صدف السروال، شارات الرتب والقبعة والأكتاف، ثم كسر سيفي، رأيت كل رموز الشرف تتهاوى بين قدمي، أشياء كثيرة عبرت رأسي ، أدركت أن للظلم شكلا وللحزن شكلا وللقدر أشكالا. كنت أصرخ في هؤلاء الجنود وفي هذا الجمع الغفير (أنا بريئ، أنا بريئ..)، لكن لا أحد يهتم، لا أحد يعبأ. بعد التجريد من الرتبة، كان من المفترض أن أدور حول المربع، سمعتُ صراخ الحشد الغاضب، شعرت بقشعريرة تسري بينهم، كيف لا وهم يقدمون لهم رجلا متهما بالخيانة العظمى، حاولتُ أيضا أن أشعرهم ببرائتي.

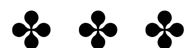
الدواران حول المربع انتهى .. المأساة اِنْتَهَت.. أو هذا ما اعتقدته، لكن اليوم لم يبدأ بعد، قيدوا يديّ وأقلَّتني العربة إلى سجن ديبو، بلغنا جسر ألما، عند وصولنا إلى نهاية الجسر لمحت عِبر كوة السيارة نوافذَ الشقة التي قضيت فيها أجمل وأسعد سنواتي. بماذا شعرت حينها؟ لا أعرف . في ديبو، أُخِذْتُ من قاعة إلى أخرى ببدلتي الممزقة، فُتشت وصُورت وأُخِذَ قياسي، ختاما وفي منتصف النهار، أخذت إلى السجن ووضعت في الحجز. سُمح لزوجتي بزيارتي مرتين في الأسبوع في مكتب مدير السجن الذي عاملني بلطف طوال فترة سجني. زوجتي وأنا تبادلنا العديد من الخطابات الطويلة في تلك الفترة



سجن الصحة السبت الخامس من يناير 1895

حبيبتي

موجوع اليوم للغاية، حُزنكِ كبير جدا، ولا أرغب بزيادته، وعدتكِ أن أعيش، وعدتك أن أقف ندًّا للحياة إلى أن أستعيد اسمي، أنها لتضحية كبيرة من رجل شريف أُنتزِعَ منه شرفُه، يا الهي امنحني القوة، أشعر أنني بلغت منتهاي ، كل شيء متكوّم داخلي . تمزَّقَ فؤادي وأنا بين مجرمين حقيقين، كنتُ أتساءل ماذا أفعل هنا؟؟ لماذا أنا هنا؟؟ أتخيل أنني لعبة، لكن ملابسي الممزقة ذكَّرتني بالحقيقة، النظرات التي تخترقني تخبرني بوضوح لماذا أنا هنا؟ أتسائل لماذا لا نستطيع أن نفتح قلوب الأخرين ونقرأ أبجديتها حرفا حرفا، ليتمكن كل أولئك الذين شاهدوني من قراءة قلبي، منقوش عليه بحروف من ذهب هذا الرجل (رجل شرف). صدقيني غاليتي أنا أتفهمهم، لو كنتُ في مكانهم كنت سأفعل نفس الأمر مع شخص يقال لنا إنه (خائن)، لكن الخائن ليس أنا، لستُ كذلك

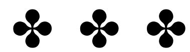


الخامس من يناير السابعة مساءً1895

دموع حارة ذرفتُها اليوم، ومن المؤسف أنني أذرفها في فراغ هذا السجن الموحش بدلا من أن أرخي رأسي على كتفك وأبكي

جسدي محموم، إنه رد فعل طبيعي على كل ما شهدته اليوم

ألفرد



من زوجتي

✤ ✤ ✤

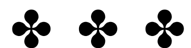
السبت، الخامس من يناير 1895

خذلني هذا الصباح، أعطبني ... لحظات لا أستطيع أن أرسمها في مخيلتي، أنتَ يا صديقي المسكين إنسان شريف، أنتَ الذي تعشق فرنسا إلى ما لا نهاية، أنتَ

صاحب الروح الطيبة والمشاعر الرفيعة، أنتَ تُعَاقَبُ! هذا رهيب! لقد وعدتني أن تكون شجاعا، لقد وفيت بوعدك؛ ممتنة لكَ، كبرياؤك أسر القلوب، عندما ستأتي ساعة الفرج هذه الذكرى الحزينة التي عشتها ستبقى منقوشة في ذاكرة الناس. تمنيت أن أكون بجانبك، أن أسند كتفك، حزن العالم أجمع يصب داخلي، لم أحظَ بتصريح لزيارتك وقد أضطر للانتظار راجية ألا يطول حتى أسعد بضمك لصدري.

طفلانا الغاليان لطيفان ومرحان، من الجيد أنهما لا يدركان بؤس هذه الحياة، بيير يتحدث عنكَ، لا أجد غير الدموع للرد عليه .

لوسي



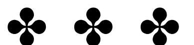


من سجن الصحة

الأحد السادس من يناير 1895 الخامسة

اغفري لي حبيتي إن كنتُ قسوتُ عليكِ في خطابي البارحة، من فرط بؤسي، كنتُ محتاجا للبوح لشخص ما، وما من قلب أبثُّ له خرابي غير قلبكِ، ما من روح تتسع لنحيبي سوى روحك النبيلة، اغفري لي، فلقد أثقلتك بهمي، قلبك الذي شجعني على العيش أريده قربي، أن أشعر بخفقانه. لا تفكري بي كثيرا، لديك عدد من المسؤوليات، الأطفال..، والاسم .. فكري فقط في كل مسؤولياتك النبيلة، إنها ثقيلة، لكنني أدرك أنكِ شجاعة. أبذُلي قُصارى جُهدكِ وفكري فقط في واجباتكِ

ألفرد



من زوجتي

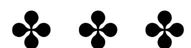
الاثنين السابع من يناير 1895

أول شيء أقوم به بعد استيقاظي هو أن أحدثك قليلا، يطيب لي ذلك، أن أدس لك بعضي بين هذه السطور، أن أبعث لك ببصيص من الأمل فربما يبدد ظلمات سجنك، مرهقة لأنكَ هناك حزين و وحيد.

أنت تسكن رأسي، لا أفكر إلا بك، لا أرغبُ بالعيش إلا من أجلكَ، آمل أن ألقاك ، أخبرني أرجوك َكل ما تشعر به، كيف هو حالك؟؟ أتوجس من أن تتدهور صحتك، آه! لو أتمكن من رؤيتك! لو أستطيع أن أبقى إلى جانبك! أن أنسيك القليل من حزنك! ماذا أفعل لأنعم بهذا ؟

لوسي



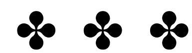


السابع من يناير المساء1894

ماذا أقول لك؟؟ أنا لا أفكر إلا فيك، لا أتكلم إلا عنك، إن روحي وكل فكري معك، أطلبُ منكَ، بل أرجوك، أن تتحلى بالشجاعة، ألا تترك نفسك فريسة للحزن، اصمد كي لا تفقد قواك الجسمانية، يجب أن نصل إلى الفاعل. ماذا تساوي ثروتنا أمام شرف رجل! سأكون سعيدة أن أسخّر كل مستقبلي لهذه المهمة النبيلة، كلنا واثقون بأنه في يوم ما سيظهر المذنب وأن مجهوداتنا ستكلَّلُ بالنجاح

لوسي

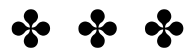




من سجن الصحة الثلاثاء الثامن من 1895

حتى في أسوء لحظات حزني ... في أزماتي القاسية، تأتي لتتوهج في فكري وأبتسم، إنها صورتك حبيبتي، صورتك الرائعة التي أتمنى أن أراها قريبا، أنتظر بشغف عودة أغلى شيء في حياتي، شرفي

ألفرد



من زوجتي

✤ ✤ ✤

الثلاثاء الثامن من يناير 1895

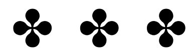
كنتُ قلقة جدا، أمضيتُ ليلة رهيبة، هذا الصباح استلمت خطابكَ، وقد زرع الفرح في صدري، لا أفهم

كيف تمضي الأيام دون أن تصلني رسائلك، لا أفهم كيف تكتب رسالة يوم الأحد ولا أستلمها أنا إلا يوم الثلاثاء

لقد حصلتُ على تصريح بزيارتك كل اثنين وجمعة في الثانية بعد الظهر في مكتب المدير، هل تعتقد أنني سعيدة ...

لوسي





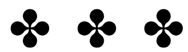
من سجن الصحة

الأربعاء التاسع من يناير 1985

عندما أفكر حقا أتساءل كيف امتلكتُ الشجاعة لأعدكِ بالبقاء حيا بعد إدانتي ؟؟ ذلك السبت سيبقى محفورا في ذاكرتي، أملك شجاعة الجندي الذي يواجه الخطر وجها لوجه، لكن هل أتحلى بروح الضحية ؟؟ أعيش

على أمل..... أعيش مع قناعة أنه يستحيل ألا تشرق شمس الحقيقة في يوم ما ،ألا تشهد فرنسا الغالية وطني براءتي

ألفرد

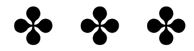




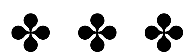
الخميس العاشر من يناير 1985

منذ الثانية صباحا، لم يغمض لي جفن، في انتظار أن أراكِ اليوم، أتخيل أنني أسمع صدى صوتك يسري في دمي، يحدثني عن طفلينا الغاليين وعائلتينا، لستُ خجلا من البكاء لأن ما أمر به أكبر بكثير من أن يتحمله شخص بريء

ألفرد



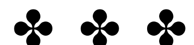
من زوجتي



الخميس العاشر من يناير 1895

استلمتُ البارحة مساءً خطاب الثلاثاء، قرأته، ثم أعدتُ قراءته، بكيت وحدي في غرفتي، هذا الصباح أيضا أعدت الكَرَّة وذرفت الكثير من الدموع. حظيتُ بليلة هادئة، حلمتُ بأننا معا، أي حلم هذا؟؟ استفقت لأجدني وحدي فريسة لهذا البؤس ،أنتَ لستَ هنا، إذا كُنتُ أعاني فهذا من أجلكَ، من أجلك أنتَ الذي تتحمل ببطولة هذا القدر

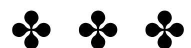
لوسي



من سجن الصحة

الجمعة الحادي عشر من يناير1895

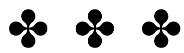
اغفري لي لأنني أحيانا أتمادى، ماذا تريدين مني؟؟ ليس لدي خيار، تسحقني هذه الذاكرة، محتاج لأن أفرغ فائض قلبي في قلبك صغير، متأكد أنا من روحك الكريمة. كنا سعيدين، لا شيء كان ينقصنا، كان كل شيء بخير، أتذكرين عندما كنتُ أقول لكِ مكانة اجتماعية.. مال .. حب متبادل..أبناء؟ كان عندنا كل شيء ولا غيمة تلوح في الأفق، ثم يأتي القدر، إلى الآن يخيَّلُ لي أنني في كابوس مزعج . لا أتذمر من معاناتي الجسدية، أنتِ تعرفينني، إنما ما يزعجني حقا هو هذه التهمة الرهيبة التي أحمل وزرها، أنا أتحمل كل هذا لقناعتي التامة أنه في يوم ما، عاجلا أم أجلا، سيبزغ فجر الحقيقة. أغفر حقا سخط هذا الشعب النبيل الذي أخبروه أنني أنا (الخائن)، أريد أن أحيا ليدرك العالم أنه ليس أنا، لست أنا الخائن



السبت الثاني عشر من يناير 1895

لازلتُ متأثرة بمقابلتنا البارحة، كنتُ مندهشة جدا، سعيدة لدرجة أنني عجزت عن إغماض عيني الليلة، أن تحافظ على روحك، على مشاعر نبيلة، رغم كل هذه المعاناة، نعم، يجب أن نأمل أنه في يوم ما ستسطع الشمس وتظهر للعلن براءتك، حيث ستدرك فرنسا خطأها الفادح، وستعرف أنك واحد من الشجعان وأنبل أبنائها .سوف تسعد مجدَّدًا، سنمضي سنوات سعيدة معا، سنكون بخير، أنتَ الذي كنتَ تحلم بالكثير من الأشياء، تحلم بأن تجعل من ابنك رجلا، أؤكد لك، ستعيش هذه الفرحة

إنه بخير، ابنك بيير وجان غاية في اللطف، لقد- كُنتُ دوما قاسية معهما، لكن أعترف الآن حتى عندما أفرض عليهما الالتزام والطاعة أتركهما يمرحان



الأحد الثالث عشر يناير 1895

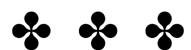
كم يلزمك من صبر وإرادة لتتحمل كل هذه الإهانات في سبيلي أنا والأطفال! فخورة بحمل اسمك، عندما سيكبر فلانا سيدركان حجم المعاناة التي تحملتهتا من أجلهما



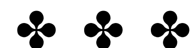
الاثنين الرابع عشر من يناير 1895

مؤسف جدا أن لحظات لقائنا جدٌّ قصيرة، أقصر مما ينبغي، ككل الأشياء الجميلة التي تمضي ولا تعود أبدا، هذا اللقاء مَرَّ كالحلم، كيف أن الوقت العصيب يمر طويلا بينما لحظات السعادة تطير، دخلتُ إلى السجن بسعادة وعدتُ منه بفؤاد مفطور، لم أستطع منع نفسي من النظر إليك، من سماع صوتك، أضعه في جيب ذاكرتي ذخيرة للأيام الباردة، كنتُ حزينة أن أتركك في هذا السجن المظلم وحدك فريسة للحزن لشقاء أنت لا تستحقه .

لوسي



زوجتي، ومع هذا الكم الهائل من التوتر، مرضتْ واضطرت لملازمة الفراش



الجمعة الثامن عشر من يناير 1895

يا له من يوم حزين! أسوء من كل الأيام الأخرى، لأنني حرِمْتُ منكَ، من خيط السعادة الوحيد، استطعت النهوض من الفراش، لكنني لا أقدرُ على الخروج بعد، رغم رغبتي الكبيرة في رؤيتك، يعتقد الطبيب أنني قد أتعرض للحمى ويريدني أن ألازم هذه الغرفة، هذا يحزنني وأعترف لك أنني اختبأتُ وبكيت

لوسي

هذه الرسالة لم تصلني إلا في جزيرة ري، زوجتي الآن لا تعرف بأمر ترحيلي

VI

كان ترحيلي من سجن الصحة في السابع عشر من يناير 1895، كما العادة جهزتُ فراشي ونمتُ في الساعة المعتادة من دون أن أشعر بأي شيء عن ترحيلي، بل أخبروني نهارا أن زوجتي توصلت بتصريح لزيارتي بعد غد، لأنها لم تتمكن من زيارتي لأكثر من أسبوع .بين العاشرة والحادية عشر مساءً ، أيقظوني وأمروني بتجهيز نفسي من أجل الانطلاق، وما إن لبست ثيابي حتى وضع لي مفوض وزارة الداخلية الأصفاد . لم يمنحني الوقت لأخذ نظاراتي، كان الجو باردًا جدا، اقتدتُ إلى محطة أورليو في عربة السجن، ثم بعدها إلى مدخل السرعات البطيئة حيث المقطورة المخصصة لنقل المساجين، هذه المقطورة تتكون من عدة مقصورات صغيرة لا تتسع إلا لشخص واحد فقط، كل واحدة مقفولة بباب لا يسمح بتمديد الأرجل، وضعت في إحداها الأصفاد في معصمي والحديد في ساقي، بدا الليل أطول من المعتاد، كل أعضائي كانت مجمدة. في صباح اليوم التالي استطعتُ الحصول على

بعض القهوة بعد إلحاح كبير وعلى القليل من الخبز وبعض الجبن، كانت الحمى تنهشني

في منتصف النهار تقريبا، وصلنا إلى لاروشيل، ترحيلي من باريس كان سِرِّيًّا من دون تحضيرات مسبقة، ولولا ذلك، لكنتُ رُحِّلْتُ على الفور إلى جزيرة ري دون أن يلحظني أحدٌ.في المحطة، كان هناك بعض الفضوليين ممن اعتادوا مشاهدة ترحيل سجناء الأعمال الشاقة لجزيرة ري، كان الرقيب المسؤول يخرج لتفقد الأوضاع ثم يعود ليعطي أوامره همسا للحراس الذين يغلقون فتحات التهوية الواحدة تلو الأخرى، هذه الإجراء ات الاحترازية أثارت الفضوليين أكثر حول السجين المهم الذي يحتفظون به في سيارة السجن. فزع المفوض والحراس من التجمهر الذي ازداد شيئا فشيئا، ثم فجأة ذكر اسمي وانتشر كالنار في الهشيم بين المتجمهرين ، توجب أن أبقى بعد الظهيرة كلها رهين عربة السجن، أسمع ضجيج الحشد.. في جنح الظلام أخرجوني من المقطورة، وعندما ظهرت انهالت عليّ ضربات المتربصين من كل جانب، كنت جامدًا وسط

الزحام، في لحظة ما كنت وحدي وسط الزحام ، كنت مستعدًّا لأن أمنحهم جسدي، لكن روحي كانت لي وحدي

أتفهَّمُ هذا الشعب المسكين، أردت أن أمنحهم جسدي، فربما أدركوا خطأهم الفادح، دفعت الحراس، لكن قيل لي إنهم مسؤولون عن سلامتي، مسؤولون عن رجل أساء لوطن بأكمله

تمكنت أخيرا من الوصول إلى العربة التي ستقلُّني إلى ميناء لاباليس حيث شُحنت في قارب، استغرقت الرحلة في البحر حوالي ساعة، وصلت إلى جزيرة ري في ليل حالك، البرد كان قارسا جدا، جسدي بارد، غير أن رأسي كانت تحترق، يداي مجمدتان ومتعبتان من الأصفاد . كان يجب علينا أن نواصل الرحلة سيرا على الأقدام على أرض جليدية ... استقبلت بجفاء من قبل المدير، ثم اقتدتُ إلى مكان حيث أُنتُزعت كل ثيابي وفُتِّشت،و في النهاية تقريبا في التاسعة مساء اقتدت إلى زنزانتي مكسور الروح والجسد، على مقربة مني هناك حجرة الحراس الذين كانوا

يتواصلون معي من خلال كوة فوق سريري، على مدار الساعة حارسان يتناوبان مراقبتي ويرصدان كل حركة من حركاتي

مدير السجن أخبرني يومها أنه إذا زارتني زوجتي سوف يتم ذلك أمامه وأنه سيكون فاصلا بيني وبين زوجتي وأنه لا حق لي في معانقتها أو الاقتراب منها

✤ ✤ ✤

جزيرة ري التاسع عشر من يناير1895

غاليتي لوسي

في مساء الخميس أيقظوني لترحيلي، ووصلتُ البارحة ليلا، لا أرغب بسرد تفاصيل رحلتي لكي لا أمزق فؤادك، اعلمي فقط أنني سمعت صراخ شعب بمواجهة شخص يعتقدون أنه خائن....

هل بإمكانك أن تطلبي من الوزارة التصاريح التالية: الأول حق الكتابة لكل أفراد العائلة: أبي، أمي، إخوتي، أخواتي، ثانيا: حق الكتابة والعمل في حجرتي، أنا

الآن لا أملك لا أوراق ولا حبر ولا ريشة، منحوني فقط ورقة لأكتب لكِ ثم يأخذون مني الريشة والحبر. ختاما، لا أنصحكِ بزيارتي قبل أن تشفي تماما، الطقس هنا غير مناسب وأنتِ بحاجة لكل قواك لأجل أبنائنا، أما بالنسبة للنظام هنا فيمنعوني من أن أبوح لكِ به

أذكِّرك قبل أن تزوريني عليكِ الحصول على كل التصريحات اللازمة وأن تطلبي حق عناقي إلخ

ألفرد



جزيرة ري الحادي والعشرون من يناير 1895

في ذلك اليوم، عندما أهُنت في لاروشيل كنتُ أريد أن أهرب من حراسي ، أن أتقدم بصدر مفتوح لأولئك الذين كنتُ في نظرهم مجرد شيء، أن أقول لهم: "لا تهينوا روحي أنتم العاجزون عن إدراك كنهها، إنها نقية، لكن إن اعتقدتم أنني خائن خذوا جسدي أسلمه لكم دون تردد".

سأصرخ: "عاشت فرنسا، عاشت فرنسا" فربما يدركون حينها أنني بريء

ختاما، ماذا أطلب ؟؟ العدالة ... العدالة فقط، هل نحن حقا في القرن التاسع عشر؟؟ يجب أن نعود بضع قرون للخلف؟ هل تستحيل معرفة البراءة في عصر هو عصر الأنوار والحقيقة؟؟ لنبحث... أنا لا أطلب أي عفو، لكنني أطلب العدالة، العدالة التي يجب أن تمنح لكل كائن، أن تستمر التحقيقات وأن يكتشف الجاني الحقيقي

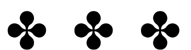
لا أجرؤ أن أحدثك عن أبنائنا، عندما ألمح صورهما، عندما ألمح عيونهما الهادئة والجميلة، تتحجر الدموع وفي جوف حنجرتي أسمع دوي سقوطي



جزيرة ري الثالث والعشرون من يناير 1895

أتسلم كل يوم خطاباتك لم أتواصل مع أي أحد من عائلتي، لا يسمح لي أن أكتب لهم، أكتبُ لكِ كل يوم منذ السبت، أتمنى أن تصلك خطاباتي .عندما أفكر كيف كنا من أشهر قريبة وأقارنها بوضعيتي البائسة الآن، أعترف بأنني ساخط على عدالة القدر، في الحقيقة أنا ضحية غلط هو الأسوأ في هذا القرن. رأسي ترفض هذه الحقائق وأعتقد أنني في حلم وقد أستفيق يوما...

ألفرد



من زوجتي

باريس العشرون من يناير 1895

يحتلني هذا القلق بلا أخبار عنك، أشتهي أن أكون قربك، أن أزرع داخلك قلبي، أن أسند رأسك على صدري

لوسي



باريس الحادي والعشرون من يناير 1895

لحسن الحظ، لم أقرأ صحيفة أمس، لقد أخفوا عني حادثة لاروشيل وإلا كنتُ جننتُ من القلق ... ما أصعب ما ممرت به صديقي! ... موقف الحشد لا يدهشني، إنه نتيجة لقراءة هذه الجرائد المقرفة التي تعتاش على الافتراء و ألأكاذيب... ولكن لا تقلق، بين الناس هناك المتعقلون

لوسي



باريس الثاني والعشرون من يناير 1895

لا خطابات منك منذ الخميس، لا أخبار عنكَ، سأموت من القلق إن لم أطمئن عن صحتك . كم سيطول انتظاري ؟

تحتلني، أنا مريضة بك، أفكر فيكَ بلا انقطاع، لا تمر ثانية دون أن أعاني معك، هذا البعد متعب ، لم أعد

قادرة على انتظار أن ألتحق بك، أن آخذك بين ذراعي، لدي الكثير لأحدثك عنه، أخبارنا كلنا وأخبار أطفالنا والعائلة وكل المجهودات غير العادية التي نقوم بها لحل هذا اللغز

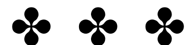
لوسي



باريس الثالث وعشرون من يناير 1895

لقد أرسلتُ تلغرافا إلى السيد مدير السجن لربما أعرف بعض أخبارك، عاجزة عن تحمل هذا القلق، لم أستلم أية رسالة منك منذ أن غادرتَ باريس، لا أستوعب ما يجري، أعتقد أنكَ تكتبُ لي كل يوم. لكن ما السبب في هذا التأخر؟ عاجزة أنا عن الاجابة ، هذا بغيض، أن تكون بعيد جدا عن شخص هو روحك و محروم من أخباره

لوسي



الرابع والعشرون من يناير 1895

عزيزتي لوسي

وفقا لرسالتك الأخيرة ليوم الثلاثاء لم تصلك رسائلي، آه! كم مقهورة أنت يا حبيبتي المسكينة.....

ألفرد



الخامس والعشرون من يناير جزيرة ري 1895

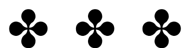
غاليتي لوسي

أحزنتني رسالتك البارحة، لا أعرف على أي شيء أو شخص يجب أن أركز، عندما أفكر في الماضي ينتابني شعور السخط، عندما أفكر في الحاضر ووضعيتي البائسة أفكر فقط في الموت، لربما أنسى كل شي، لربما أكون بخير مجددا، عندما أفكر في المستقبل أشعر ببعض الراحة. منذ قليل تفحصتُ ملامح طفلينا الغاليين، شعرت بغصة في حلقي، لا يمكن اختصار الحزن في كلمة .

نعم حبيبتي لا بد أن أحيا، لا بد أن أتحمل للنهاية من أجل الاسم الذي يحمله أطفالي، يجب أن يدركا يوما أن هذا الاسم يستحق الشرف والاحترام

لن أستطيع الكتابة إلا مرتين في الأسبوع

ألفرد



جزيرة ري، الثامن والعشرون من 1895

عزيزتي لوسي

ها هو يوم استثنائي آخر من أيام وجودي البائس، لأنني أستطيع فيه أن أركن إليك لنصف ساعة نثرثر معا، تذكر الماضي هذا لا أستطيعه، لو تغادرني هذه الذاكرة.... لست قادرا إلا على المضي قدما على أمل أنه في القريب ستسطع الحقيقة

ألفرد



جزيرة ري الحادي والثلاثون من يناير1895

غاليتي لوسي

أخيرا، ها هو اليوم استثنائي من جديد، اليوم الذي أكتب لك فيه، أعدها الأيام الاستثنائية ، في الحقيقة لم تصلني خطابات منك منذ تلك التي استملتها الأحد الماضي. يا لها من معاناة رهيبة!! إلى الآن كانت دوما هناك لحظة سعيدة، هي تلك التي أستلم فيها رسائلك، أقرأها وأعيد قراءتها لأربع أو خمس مرات، الكلمات تتحول إلى ألفاظ إلى صوت مسموع، يخيل لي أحيانا أني أسمعك بقربي موسيقى رائعة تسري في روحي، منذ أربعة أيام لا شيء غير الحزن والوحدة الرهيبة

ألفرد



باريس، الرابع والعشرون من يناير 1895

وأخيرا استلمت رسالتك هذا الصباح، كنتُ قلقة بشكل جنوني، آه! كم من الدموع سكبت على هذه الرسالة الصغيرة ، هذا الجزء الصغير جدا منك، الذي وصلني بعد أيام طويلة جدا ، أضف إلى ذلك أن الخطاب مؤرخ بيوم 19 ولم يصلني إلا في يوم 24، مما يعني خمسة أيام بعد الترحيل

لوسي



باريس، 31 يناير 1895

لا أخبار عنكَ اليوم، يا إلهي ما هذه الحياة الشائكة!! نعيش يومًا بيوم في انتظار غد أفضل.....

لوسي



الثالث من فبراير 1895 جزيرة ري

حبيبتي

أسبوع فظيع! لا أنباء عنك منذ الأحد الماضي، مما يعني ثمانية أيام، تخيلتُ أنكِ مريضة، ثم تخيلتُ أن أحد الأطفال مريض، ثم افترضت جميع الاحتمالات في عقلي المريض. لك أن تتصوري، حبيبتي، درجة بؤسي، قلبي يحترق في وحدة قاتلة، هذا الوضع التراجيدي الذي وُضعت فيه، حيث كل الأحداث غريبة وغير مفهومة، الشي الوحيد هو وجودك جانبي



من زوجتي

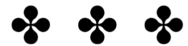
الثالث من فبراير 1895

ذات الخيبة... لا رسائل... أحيانا أفكر أنك مريض، كيف أنتَ؟ كيف أصبحت؟ في الليالي الطويلة يتعاظم خوفي، أفكر في كل الأشياء الرهيبة، فريسة

للكوابيس تنهشني، من الداخل أتآكل . لو أكون معكَ بقربكَ لألملم روحك لأساعدكَ على الشفاء

لم أستطع أخذ تصريح زيارتك حتى الآن، ها هي قد مرت ثلاثة أسابيع على ترحيلك دون أن يودعك أحد من عائلتك

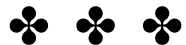
لوسي



باريس الرابع من فبراير 1895

سعدتُ بخطاباتك، كنتُ غاية في السعادة لمعرفة أخبارك، رغم أنها بعيدة نسبيا لأنها مؤرخة بتاريخ الاثنين، ثمانية أيام، أسبوع طويل إلى أن تصل كلماتك الطيبة

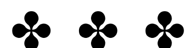
لوسي



باريس السابع من فبراير 1895

خطابك الأخير المؤرخ بتاريخ الثامن والعشرين من يناير، استغرق ثمانية أيام كاملة ليصلني منذ ذلك الحين ولا أخبار عنك، هذا جد صعب، أتمنى من أعماق قلبي أن أتحدث لكَ لفظيا، أو على لأقل بالرسائل التي صارت تتأخر شيئا فشيئا، أنتظر بنفاذ صبر تصريح الزيارة ، ربما سأحصل عليه قريبا، رغبتي كبيرة في رؤيتك وعناقك، أن أقرأ في عينيك تلك الشجاعة والصبر والتضحية والتفاني من أجل أطفالنا

لوسي

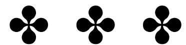


باريس التاسع من فبراير 1895

اليوم وضعت رأسي بين يديّ وبكيت طويلا ، لا أعرف من أين أتى هذا القدَر الذي لفظك بعيدا عني . احتجتُ للمسة دافئة من يد بيير لأبتسم، كل أحزاني لا شيء مقارنة بالأشياء التي تراها أنت ولا تبوح بها . لا تحزن

عندما لا تتلقى أي رسائل مني ، اعلم فقط أنني أكتب لكَ كل يوم، لا أملك إلا تلك اللحظات، لحظات الكتابة لك

لوسي



باريس العاشر من فبراير1895

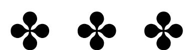
البارحة شعرت بفرحة عارمة، كتلك الفرحة الطفولية التي نعجز عن ادراكها اليوم، لقد استلمتُ تصريح زيارتك أخيرا ، مرتان في الأسبوع سأتمكن من ضمك لصدري، أن أمنحك بحضوري القوة، حزينة لأنك لا تصلك رسائلي، لم أتوقف يوما عن الكتابة لكَ، إنه الشيء الذي أواظب عليه بانتظام

لوسي



سُمح لزوجتي برؤيتي مرتين كل أسبوع لمدة ساعة ، قابلتُها أول مرة في الثالث عشر من فبراير دون أن أعلم بقدومها، اقتدتُ إلى قاعة على مقربة من باب الفناء، غرفة صغيرة ضيقة وطويلة مبيضة وخالية من الأثاث تماما ، كانت زوجتي جالسة في نهايتها، المدير يتوسط القاعة بيني وبين زوجتي، وبقيت أنا قرب الباب الخارجي، أبلغنا المدير أنه لا يجب أن نتكلم عن القضية وبأي شيء يتعلق بها. كان من الصعب جدا أن نلتقي تحت هذه الظروف الوضيعة حيث لا توجد خصوصية، بدأت الدقائق تطير بسرعة، شعرنا بسعادة داخلية غامرة ، شعرنا بأننا لسنا اثنين، بل واحد، روح واحدة لها هدف واحد هو معرفة الحقيقة والمُذْنِب.

عادت زوجتي لزيارتي في اليوم التالي، أي الرابع عشر من فبراير، لتعود إلى باريس، الزيارة التالية كانت في العشرين من فبراير وفي الحادي والعشرين منه كان آخر لقاء جمعنا

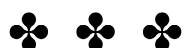


من جزيرة ري الرابع عشر من فبراير 1895

غاليتي لوسي

اللحظات المعدودة التي أمضيتها معك كانت الأروع ، رغم أنه كان من المستحيل أن أخبرك بما يجول في قلبي وخاطري، كنتُ أحدِّقُ فيكِ، متسائلا أي قدر هذا الذي حال بينك و بيني، أي درب سلكناه لنصل إلى حيث الجحيم؟

ألفرد



جزيرة ري، الحادي والعشرون من فبراير 1895

(يوم ترحيلي الذي أجهله)

عبثا توسلت زوجتي للمدير ليقيد يديها خلف ظهرها ويتركها تقترب مني لتعانقني، رفض بشدة. الحادي والعشرون من فبراير كان آخر لقاء لنا، بعد زيارتها من

الثانية إلى الثالثة. قبل الانطلاق، جُردت من ملابسي وفُتشتُ، ثم اقتدتُ بين ستة حراس إلى زورق بخاري أقلّني في المساء إلى ميناء روشفرو، ثم مباشرة إلى باخرة سانت نازير، دون أي كلمة، دون أي اخطار بالمكان الذي نتوجه إليه، عند وصولي إلى سانت نازير، اقتدت إلى زنزانة أسفل سطح الباخرة ، الجزء الأمامي من السفينة كان مخصصا للزنزانات ، كان البرد قارسا جدا، كانت درجات الحرارة تحت الصفر وتُركتُ من دون طعام . تذكرت زوجتي التي ودعتُها منذ ساعات دون أن تستطيع تقبيلي، تذكرتُ أبنائي، كل أحبابي الذين تركتهم دون أن أعرف الجهة التي أتوجّه إليها، تذكرت كل أشيائي، ارتميتُ في إحدى الزوايا الباردة وبكيت . الأيام الأولى من رحلتي كانت رهيبة، البرد كان مميتا في الزنزانة المفتوحة، النوم على الأرجوحة كان مستحيلا، بالنسبة للطعام، حصة السجناء تقدم في علب قديمة، كُنتُ أخضع للحراسة النظرية في النهار من قبل مشرف، وفي المساء من قبل اثنين مع سلاح

في اليوم الخامس سمح لي بالصعود لسطح الباخرة لمدة ساعة في الصباح وساعة في المساء ، بعد اليوم الثامن من الرحلة بدأتْ درجات الحرارة في الارتفاع، فهمت أننا نقترب من الساحل، غير أنني أجهل حتى الآن مكان ترحيلي، بعد خمسة عشر يوما من الرحلة الرهيبة وصلنا في الثاني عشر من مارس إلى جزر صالي ، عرفت هذا من خلال الحديث المتبادل بين المشرفين

جزيرة الشيطان

في الخامس عشر من مارس، أُنزلتُ في جزيرة رويال حيث احتجزتُ، في الثالث عشر من أبريل نقلت إلى جزيرة الشيطان، صخرة جرداء كانت مخصصة لمصابي الجذام. جزر صالي كانت تضم ثلاثة جزر: جزيرة رويال وهي مخصصة لاقامة القائد الأعلى لادارة السجون، ثم جزيرة القديس يوسف (سان جوزيف) وجزيرة الشيطان

يومياتي

الأحد الرابع عشر من أبريل 1895

اليوم أبدأ يوميات حزني وحياتي الرهيبة، اليوم فقط حصلتُ على أوراق مرقمة لكي لا أتصرف بها ، أنا مسؤول عنها، أتساءل: ماذا يمكنني أن أفعل بها؟؟ فيما ستنفعني؟ لمن سأسلمها؟؟ أي أسرار في جعبتي للأوراق... الكثير من الأسئلة والكثير من الألغاز. إلى الآن كنتُ أؤمن بالعقل وأعتقد بمنطق الأمور وأؤمن بالعدالة الانسانية، لكن كل شي غريب ..الكثير من الأشياء كانت تتجاوز عقلي، آه يالهي ! انهار إيماني بالأشياء، فقدت يقيني ومنطقي السليم، أشهر بغيضة مرت علي... كم من الحزن بانتظاري؟؟

في نفس الليلة

حاولتُ أن أنام، لكن بعد غفوة للحظات استيقظت بحرارة مرتفعة كأني فوق الموقد، أنا على هذا المنوال منذ ما يقارب الستة أشهر، أجهل كيف يتحمل جسمي هذا

العذاب؟! أعتقد أن الضمير الحي والواثق يمنح هذا القدر من القوة التي لا تقهر.أفتح النافذة وأنظر إلى البحر، السماء مشحونة بالضباب، ضوء القمر يعطي البحر لونا فضيا، الأمواج تتكسر عاجزة أمام الصخور التي تحيط بالجزيرة، ايقاعها المستمر ينعش روحي. في هذه الليلة، في هذا السكون اللامتناهي، في هذا الصمت الذي يشبه صمت القبور، ترتسم في ذاكرتي ملامح زوجتي وأطفالي، كم تعاني لوسي من هذا القدر غير المستحق؟! بعد أن كانت تملك من السعادة الكثير، تستحق أن تكون سعيدة زوجتي المسكينة، لا أستطيع أن أفكر فيها وفي الأولاد دون أن أنتحب، سأحاول أن أدرس الانجليزية لعلي أنسى

الاثنين الخامس عشر من أبريل 1895

أمطار غزيرة هذا الصباح

إفطار اليوم الأول (لا شيء)

أشفق علي بعض المشرفين، منحوني بعض القهوة السوداء والخبز، قمت بجولة صغيرة حول الجزء المخصص لي من الجزيرة، بعض أشجار الموز، بعض أشجار جوز الهند وأرض بائرة بصخور بازلتية. في العاشرة، قدموا لي القليل من لحم الخنزير المعلب، بعض الحبات من الأرز، بعض حبات القهوة الخضراء، والقليل من السكر الأسمر. رميتُ كل شيء في البحر، ثم حاولتُ إشعال النار، تمكنت من ذلك بعد عدة محاولات فاشلة، تمكنت من أن أسخن الماء ثم أُجهز شاي

الفطور شاي وخبز! أي عذاب هذا؟؟ ما هذه التضحية التي قمت بها لأعيش ؟؟

الاثنين الخامس عشر من ابريل 1895

كنتُ سأتعشى بقطعة خبز فقط، أغمي عليّ، فمنحني المشرفون جزءًا من حسائهم، أدخن ثم أدخن، لا لشيء إلا لأنفث خيباتي جميعها ولأخمد رأسي وبطني، أعدتُ كتابة الطلب الذي كتبته من خمسة عشر يوما (أن أعيش على نفقتي لأتمكن من الحصول على معلبات كما ينص القانون)

وأنتِ زوجتي العزيزة، في هذه اللحظة بالذات، أفكر بك تجيئين مثل صدى في ذهني، هل تدركين؟ نعم بالتأكيد أنت تشعرين بمأساتي ، أن تُدان بجريمة فظيعة كهذه دون أن تفهم أي شيء. إذا كانت هناك عدالة في العالم، فيجب أن أستعيد اسمي، وأن يظهر المذنب، الوحش لا بد أن يتلقى العقاب الذي يستحقه

الثلاثاء السادس من أبريل1895

وأخيرا تمكنتُ من النوم، كنتُ متعبا للغاية، عندما استيقظت، كُنتِ أنتِ أول شيء خطر ببالي حبيبتي، كنتُ أتساءل ماذا تفعلين في هذا الوقت؟! ربما تكونين منشغلة مع طفلينا، إنهما عزاؤك الوحيد، يذكِّرانك بواجبكِ إذا ما استسلمتُ أنا قبل النهاية .

بعد هذه الخواطر الصباحية، ذهبت لقَطْعِ الأخشاب، بعد ساعتين من الجهد، تمكنتُ من تخزين كمية وفيرة من الخشب، في الثامنة جلبوا لي قطعة من اللحم النيئ والخبز، أوقدتُ النار، الدخان مال ناحيتي مع هواء البحر، تورمت عيناي، وضعتُ اللحم على بعض قطع الحديد التي جمعتها من هنا وهناك ، الغداء كان أفضل بقليل من أمس، اللحم كان جافا قاسيا

أما بالنسبة لقائمة العشاء، كانت بسيطة: الخبز والماء، كل هذه الجهود أرهقتني

الجمعة 19 أبريل 1895

أنا لم أكتب لكِ هذه الأيام، كل وقتي كان مخصصا للكفاح من أجل الحياة، لأنني أريد أن أكافح، حتى آخر قطرة من دمي، مَهما كان الثمن

بالنسبة للنظام، لازال ثابثا ، ونحن لانزال في انتظار الأوامر. اليوم طهوتُ اللحم وبعض الملح والفلفل اللذان وجدتهما على الجزيرة، استمر الطهو لثلاثة ساعات .

حتى الآن، لا أنباء عن زوجتي، هل يتم اعتراض الرسائل؟ كنتُ غاضبا ومنفعلا ، قلتُ لنفسي: سأقطع بعض الخشب لتوفيره في اليوم التالي وسوف تهدأ أعصابي حتما. ذهبتُ لجلب الفأس من المطبخ، قيل لي: "ممنوع دخول المطبخ،" لم أنبس ببنت شفة، خرجتُ مرفوع الرأس.

آه! لو كان بإمكاني العيش فقط في الزنزانة، دون الحاجة للخروج، ولكن يجب عليّ أن آخذ بعض المواد الغذائية. أحاول من وقت لآخر الترجمة الإنجليزية، أن أنسى

نفسي في العمل، ولكن ذهني يستسلم، بعد ربع ساعة أتخلى عن كل شيء

إنه لمن غير الإنساني اعتراض كل مراسلاتي، أنا أتفهم كل الاحتياطات لمنعي من الهرب وأراها قانونية، إنها من واجب الإدارة، لكن أن يدفنوني على قيد الحياة في هذا القبر، ويمنعونني من كل وسائل الاتصال، حتى رسالة مفتوحة مع عائلتي، أنه شيء لا يمت للعدالة بصلة ، إنها عودة بضعة قرون إلى الخلف ، ها أنا الآن منذ ستة أشهر بمعزل عن العالم الخارجي، دون أن أساهم في قضية إعادة شرفي.

السبت العشرون من أبريل 1895

الحادية عشر صباحا

انتهيت من الطبخ لهذا اليوم، لقد قسمتُ قطعة اللحم إلى قطعتين واحدة للحساء والأخرى للشواء، بالنسبة للمشروبات، ماء فقط، الطبخ كان في أواني من صفيح صدئة وقديمة، ما من شيء للتنظيف، لا بد أن أستجمع

شجاعتي لأتمكن من العيش في مثل هذه الظروف ..متعب حقا ، وسوف أتمدد على سريري

ليلة السبت 20 و الأحد 21 أبريل 1895

ليلة محمومة أخرى

كما كل ليلة حلمتُ بك عزيزتي لوسي وبأطفالنا واستفقت على غربتي

كم يتوجب أن تعاني يا حبيبي المسكينة! راسلت القائد دي باتي مذكِّرًا إياه بالوعدين اللذين وعدني بهما بعد إدانتي: أولا بصفته نائب وزير لمواصلة البحث عن المذنب، ثانيا على صعيد شخصي ليخبرني متى ما استأنفت الوزارة البحث عن البائس الذي ارتكب هذه الجريمة على منحدر زلق، لا يمكنه أن يتوقف

الأحد 21 أبريل 1895

تكرم عليّ القائد الأعلى للجزر، وأرسل لي هذا الصباح مع اللحم عبوتين من الحليب المكثف، كل عبوة بمقدار ثلاثة لترات من الحليب، أشرب لتر ونصف كل يوم، لذا فإنه سوف يكفيني لمدة أربعة أيام

قطعتُ اللحم إلى شريحتين شواء، في الصباح والمساء، تجنبتُ الحساء اليوم لأنني فشلتُ في أن أجعله طبقا قابلا للأكل، مع كل الانشغالات أفكر في زوجتي وأبنائي، أفكر في كل الذين يعانون من أجلي ... آه زوجتي المسكينة،هل سيأتي ذلك اليوم الذي تحقق فيه العدالة؟؟

الأيام هنا أكثر ثقلا من المعتاد، الدقائق أشبه بالساعات، عاجز عن أي عمل جسدي، مع هذه الحرارة يستحيل الخروج من العاشرة إلى الثالثة بعد الزوال، لا أستطيع أن أدرس الانجليزية على مدار اليوم، عقلي يرفض ذلك ولا شيء هنا للقراءة

كنتُ أوقد النار لتحضير الشاي عندما توقف مركب قادم من جزيرة رويال، توجب أن أدخل إلى حجرة الحجز، القانون هنا لا يسمح لي أن أتبادل الحديث مع أحد

الاثنين 22 أبريل1985

استيقظتُ اليوم في الفجر لأغسل ملابسي، ثم أجففها، كل شيء هنا متعفن، خليط من الرطوبة والحرارة، أمطار غزيرة متبوعة بحرارة مرتفعة ، طلبتُ من القائد بضع صحون، أخبرني أنها غير موجودة، منذ مجيئي إلى هنا وأنا أتناول طعامي على الورق أو على صفائح قديمة وصدئة وجدتها على الجزيرة، الطعام غير النظيف الذي أتناوله لا يمكن تخيله ، لازلتُ أكافح من أجل زوجتي وأبنائي، وحيد هنا، منطوٍ على نفسي ومتقوقع داخلي. لا أخبار عن عائلتي منذ شهرين رغم كل طلباتي المتكررة..

اليوم وصلتني بعض الخضار الجافة في عبوات تعليب قديمة، في محاولة مني لغسل العبوات وتحويليها إلى صحون جرحت أصبعي .أبلغوني أيضا أنه يتوجب علي غسل ملابسي بنفسي، وبعد ساعتين من الفرك كانت النتيجة ضعيفة . هل سأتمكن من النوم؟؟ أشك في ذلك، داخلي مزيج من التعب الجسدي والعصبي، بحيث عندما أضع رأسي على الوسادة يرحل رأسي إلى عائلتي

الثلاثاء الثالث و العشرون من أبريل 1895

لازلت أكافح لأعيش

هذا الصباح حاولتُ تبسيط واجباتي، لليوم حضرتُ الراتا القليل من اللحم والقليل من الفاصولياء البيضاء، أكلتُ نصفها وتركتُ النصف الآخر للمساء، الطبخ في هذه الأواني القديمة والصدئة يصيبني بمغص في بطني

الأربعاء الرابع والعشرون من أبريل 1895

اليوم رميتُ اللحم لأنه غير صالح

سأكتفي ببعض الفاصولياء كطبق لليوم

الخميس الخامس والعشرون من أبريل 1895

يمنحونني علبُ الكبريت، الواحدة بعد الأخرى، أحيانا لا أفهم لماذا؟ إنه مجرد كبريت، ثم يتوجب عليّ أن أسلم العلبة الفارغة للحصول على علبة جديدة، اليوم لم أتمكن من ايجاد العلبة الفارغة و مشهد آخر من الاتهامات

ليلة الخميس إلى يوم الجمعة

طويلة هي الليالي بلا نوم ، نهارتي تمر بفضل ألاف الأشياء التي يتوجب فعلها، مجبر على تنظيف الحجز.. على الطبخ .. البحث عن الأخشاب وتقطيعها .. غسل ملابسي، لكن بمجرد أن أرقد يبدأ بعضي بنهش

بعضي، أفكر في زوجتي، في معاناتها، أفكر في أطفالي الصغار، في سعادتهم

الجمعة السادس والعشرون أبريل1895

اليوم لحم مقدد رميته

قائد الجزر زارني، أحضر معه الشاي والسجائر، رغبتُ في الحليب المركَّز الذي طلبته. منحوني على سبيل السلف أربعة صحون ووعاءين، لكن لا شيء للتحضير، أعطوني أيضا المجلات التي أرسلتها زوجتي، لكن لا رسائل، هذا غير إنساني بالمرة . كتبتُ لزوجتي، نعمت ببعض اللحظات من الهدوء، طلبت منها أن تتحلى بالشجاعة لأن شرفنا يجب أن يستعاد، أن يظهر للجميع، دون استثناء، كما كان دوما، نقيا وبلا أي شوائب

هنا الحرارة لا تطاق، تسلبك قوتك وطاقتك

السبت السابع والعشرون من أبريل 1895

بسبب الحرارة التي تشتد بداية من العاشرة غيرتُ مواعيدي، أستيقظ في الخامسة النصف صباحا، أشعل النار لتحضير القهوة أو الشاي، ثم أضع البقوليات على النار، بعدها أجمع فراشي وآخذُ حمامي ،

في الثامنة يحضرون لي حصتي اليومية، أكمل طبخ البقوليات، ثم بعدها اللحم، هذا إن توفر، الطهو ينتهي في العاشرة تقريبا. في المساء أتناول ما تبقى من الأكل باردا، لستُ مستعدا لانفاق ثلاثة ساعات أخرى أمام النار

من العاشرة إلى الثالثة بعد الزوال، أتغدى، أقرأ.. أعمل.. أحلم، والأهم أنني أعاني. بعد أن يصبح الجو ألطف، أي في الخامسة مساءً، أذهب لقطع الأخشاب ولإحضار الماء من البئر، ثم الغسل.. الخ. في حوالي السادسة، أتناول ما تبقى من طعامي ، ثم أحتجز في غرفتي، إنها فترة شتاتي، لو يمنحوني مصباحا على الأقل ، أرقد، عندها فقط يستيقظ

ذهني وكل أفكاري، أفكر في مصيري المجهول أفكر في زوجتي وأطفالي وفي كل الذين يعانون معي

الأحد الثامن والعشرين من أبريل 1895

يوم عاصف، الرياح تبعثر في طريقها كل شيء بعنف وصوت اصطدامات الأشياء ببعضها ، هذا الطقس يشبه روحي ، أريد أن أكون قويا وقادرا، كالرياح التي تقتلع الأشجار من جذورها، لأقتلع كل الحواجز أمام الحقيقة، أريد أن أصرخ ليتبدد كل عنائي .....اليوم تمكنتُ من تنظيف أواني الطبخ، كنتُ أنظفها بالماء الساخن وأفركها بمناديلي، ومع كل هذا تبقى غير نظيفة ودهنية ، فكرتُ في الرماد الذي يحتوي على كمية وافرة من البوتاس ونجح الأمر، لكن حالة يداي و مناديلي يرثى لها

أُخطرتُ الآن أنه وإلى حين صدور أوامر جديدة ، سيتم غسيل ملابسي في المستشفى، كنتُ سعيدا بالخبر لأن

بعض فانيلاتي أصبحتُ متعرقة وبحاجة لغسيل حقيقي، آمل أن هذا الاجراء المؤقت يصبح نهائيا

في نفس اليوم في السابعة مساء

فكرتُ فيكِ كثيرا، حبيبتي، فكرتُ في أولادنا، في يوم الأحد الذي كنا نقضيه معا، مر الوقت ببطء شديد

أفكاري تصبح سودوادية كلما تقدم النهار

الإثنين التاسع والعشرين من أبريل صباح اليوم

أبدا لم أنهك كهذا الصباح، اضطررتُ لعدد من الرحلات لجلب الخشب و الماء ، أضف إلى ذلك الغذاء الذي ينتظرني، بازلاء غير طرية على النار منذ ما يقارب أربعة ساعات لم تنضج بعد، بالنسبة للمشروب، فهو مقتصر على الماء، رغم كل طاقتي سوف تنهار قواي اذا استمر الوضع على ما هو عليه، خاصة مع هذا الطقس

الظهر

عاقٌّ هذا النوم! كلما وضعت رأسي على الوسادة تبدأ أسراب الوجع في نخر ذاكرتي، يخطر ببالي مصيري الذي ينتهي إلى الهاوية .

الطقس اليوم عاصف، السماء غائمة والحرارة جد خانقة، تخترق الصدر، لو تهطل بعض الأمطار فقط لربما أصبح الجو ألطف، البحر ممتد أخضر . كم يبدو الموت رحيما أمام هذا العذاب البطيء والممتد، للأسف حتى الموت لا أستطيعه؛ لا بد أن أحيا من أجل لوسي والأطفال

الأربعاء الأول من ماي 1895

أمضغ الوقت وأجتره، آه من هذه الليالي الرهيبة! الأرق يحشر أنفه في أوردتي، برغم أنني استيقظت كالعادة عند الخامسة والنصف، ولم آخذ قيلولة، ثم في المساء كسرتُ الأخشاب ما يقارب ساعة، لدرجة أن ساقيّ كانتا

ترتعشان، وبرغم من كل هذا لم أتمكن من النوم إلا قُبيل منتصف الليل بقليل. آه لو كان بامكاني أن أقرأ و أعمل ليلا! لكنني رهين هذا السواد وهذه العتمة من السادسة أو السادسة والنصف، يتسلل ضوء خافت من فانوس حجرة المراقب، لكنه غير كافٍ للقراءة

الخميس 2 مايو، الساعة 11

البارحة مساءً، وصل البريد قادمًا من كايين هل يحمل رسائلي؟؟ هل يحمل أنباء عن عائلتي؟ أعيتني الأسئلة ولا اجابات. خيبات الآمال التي مُنيت بها منذ بضع أشهر جعلتني أشك في كل شيء، في كل الناس عدا عائلتي، أتمنى و متأكد من أنهم لن يرتاحوا إلى أن تظهر الحقيقة. أتساءل اذا كانت خطاباتي تصل زوجتي ما هذا المصير الرهيب لكلينا... لنا كلنا؟ لا بد أن أستعيد شرفي وشرف أبنائي

هذه العزلة عميقة جدا حيث يخيل لي أحيانا أني أعيش ممددا في قبر

اليوم الخامسة مساء

المركب على مرأى مني قادمًا من جزيرة رويال، قلبي يخفق بشدة، هل يحمل لي رسائل من زوجتي؟! هل سأقرأ خواطرها؟ هل سأحظى بانفعالاتها؟؟! سُعدت جدا بمعرفة أنه هناك خطابات لي، لكنني منيت بخيبة أمل رهيبة عندما أدركتُ أنها رسائل موجهة إلى جزيرة ري، أي قبل ترحيلي من فرنساُ، يرفضون تسليمي الخطابات الموجهة لي هنا؟ أو ربما يرسلونها إلى فرنسا للاطلاع عليها أولا، ألا يمكنهم أن يخبروا عائلتي بأن يضعوا رسائلهم في الوزارة. رغم أن الرسائل مؤرخة بأكثر من شهرين ونصف، بكيت طويلا، هل يمكن تصور هذا؟ الليل بطوله وأنا أحلم بزوجتي وأطفالي، لأجلهم لا بد أن أعيش

لا شيء مما طلبته من كايين توصلت به

السبت الرابع من مايو

ما أطولها هذه النهارات! أطول مما ينبغي، وحدي أواجه ذاتي رأسا لرأس، دُون أخبار عن عائلتي! في كل لحظة أتساءل ماذا يفعلون الآن؟؟ كيف أصبحوا؟ كيف هي أحوالهم الصحية ؟؟ إلى أين وصلت التحقيقات ؟؟؟ الرسالة الأخيرة مؤرخة بتاريخ الثامن عشر من فبراير، ذات الأسئلة التي تهوي بي إلى ذات المتاهة

الصباحات تمر لكثرة انشغالي بمتطلبات الحياة من الخامسة والنصف إلى العاشرة.

الطعام الذي أتناوله بعيد كل البعد على أن يعزز قوتي،

اليوم لحم مقدد، تغديت على بزلاء جافة والخبز

على قائمة العشاء إيدام

أدون أحيانا لائحة طعامي اليومي، لكنها تختفي أمام مشكلي الأعظم، شرفي

نفس اليوم مساء

في هذا السكون الذي يحيط بي والذي لا يهتكه إلا صوت انكسار الأمواج على الصخور، تذكرتُ خطاباتي التي كتبتها للوسي في بداية مقامي هنا ، كيف كنت جاحدا! وصفتُ كل بؤسي لزوجتي المسكينة، هي أيضا ضحية هذا الوضع الرهيب، ثم أمزق كيانها بنحيبي! أحمِّلها محني! يجب أن أكون قدوتها، أن أمنحها القوة اللازمة لتكمل مهمتها

الاثنين 6 مايو 1895

دائما رأسا لرأس مع ذهني،

ولا أخبار عن عائلتي

يجب أن أتعايش مع وضعي، يجب أن أتحمل بكبرياء هذه التضحية، أن أكون قدوة لزوجتي ولعائلتي

لا ضعف بعد اليوم، تقبَّلْ قدرك إلى أن تظهر الحقيقة

أحاول أن أسترد هدوئي بالعمل، لكن لا الطقس ولا القوة يسمحان بذلك

الثلاثاء 7 مايو 1895

أمطار غزيرة، منذ البارحة رطوبة وحرارة مرتفعة

الأربعاء الثامن من مايو 1895

غاضب جدا اليوم أكثر من أي وقت مضى من هذا الصمت القاتل المحيط بي كدائرة، بلا أي أنباء عن عائلتي منذ ما يقارب الثلاثة أشهر، قطعتُ الأخشاب لأكثر من

ساعتين لأخمد ثورة أعصابي، الفأس يكسر الحطب وأنا أكسر قعر الجحيم

عدتُ مجددا لدراسة الانجليزية من ساعتين إلى ثلاثة ساعات في اليوم

الخميس التاسع من مايو 1895

هذا الصباح، وبعد أن استيقظتُ كعادتي وحضرتُ بعض القهوة، شعرتُ ببعض التعب، تمددت على سريري. لا يجب أن أنهار قبل أن أثبت براءتي، قبل أن أسترد شرفي، عندها فقط يمكنني أن أضعف. رغم ارادتي الصلبة، بكيتُ، أصابتني نوبة بكاء، تذكرت لوسي، تذكرت أبنائي، تذكرت ملامحهم، آه! يجب أن تظهر الحقيقة، أن أستعيد اسمي، لأنه بدون ذلك سيموت أولادي

يوم رهيب، نوبة دموع ونوبة أعصاب مشدودة، لا شيء غاب

الجمعة العاشر من مايو 1895

ليلة محمومة لم أتسلم الصيدلية المحمولة التي أعطتني إياها زوجتي

السبت الحادي عشر، الأحد 12، الاثنين 13 مايو

أيام سيئة حمى ومشاكل هضمية...

قرف من كل شيء .... ماذا يحدث في فرنسا الآن؟ إلى أين وصلت التحقيقات ؟

حروق شمس على قدمي لأنني خرجت لثواني حافي القدمين

الخميس 16 مايو 1895

الحمى مستمرة، ارتفعت كثيرا، البارحة طلبت الطبيب

لا أريد أن أنتهي على هذا النحو؟!

الجمعة 17 مايو 1895

زارني الطبيب أمس، وصف لي أربعين سنتيغرام من الكينين يوميا واثتني عشرة عبوة من الحليب المركز، وبيكربونات الصوديوم، أخيرا يمكنني أن أحظى بالحليب وأستغني عن هذا الطعام الذي أشمئز منه والذي لم أتذوقه منذ أربعة أيام، لم أتوقع أبدا أن القوة البشرية قادرة على تحمل هذا

السبت الثامن عشر من مايو1985

الحليب في المستشفى غير طري، يبقى أفضل من لا شيء

شربت قبل قليل 40 سنتيغرام من الكينين

الأحد التاسع عشر من مايو 1895

يوم كئيب

أمطار استوائية بلا انقطاع

انخفضت الحمى والفضل يعود للكينين

وضعت على المائدة صور زوجتي وأطفالي لتكون أمام عيوني، يجب أن أستعيد قوتي وارادتي

الاثنين السابع والعشرون من مايو 1895

الأيام تتشابه، كئيبة ورتيبة، صمت جنائزي، كتبتُ إلى زوجتي لأخبرها أن معنوياتي مرتفعة أكثر من أي وقت مضى

آه يا أطفالي! صرت أشبه الدابة التي تفضل أن يمروا على جثتها قبل أن يلمسوا أطفالها

الأربعاء التاسع والعشرون من مايو 1895

أمطار لا تنقطع وجو خانق ومهلك للأعصاب، آه كم تعذبني هذه الأعصاب!

لكل إنسان ساعته، هذا البائس الذي اقترف هذه الجريمة سيظهر يوما، لو أتمكن من أن أقبض عليه لخمس دقائق لجعلته يدفع ثمن كل العذابات التي عانيتها، سأنتزع قلبه بلا شفقة.

السبت الأول من يونيو 1895

البريد القادم من كايين مرَّ أمام عيني، هل ستصلني أخيرا أخبار عن زوجتي، عن أبنائي؟؟؟ منذ رحيلي عن فرنسا، أي منذ العشرين من فبراير، لا أخبار عن عائلتي

الأحد 2 يونيو 1895

لا شيء، لا شيء، لا رسائل، لا أوامر

الصمت القاتل، لكنني صامد، قوي بضميري وحقي

الاثنين الثالث من يونيو 1895

لمحت البريد في طريقه إلى فرنسا، انتفض قلبي، هذا البريد سيحمل معه خطاباتي لعزيزتي لوسي أخبرها فيه أن تتحلى بالشجاعة، يجب أن تعرف فرنسا كلها أنني ضحية، ولستُ مذنبا. كلمة خائن وحدها تجعل الدماء تغلي في رأسي. لا بد أن أحيا، يجب أن أتغلب على معاناتي لأشهد ذلك اليوم، يوم برائتي

الأربعاء 5 يونيو1895

ساعات طويلة، لا أوراق للكتابة ولا للعمل، رغم كل طلباتي لأكثر من ثلاثة أسابيع، لا شيء للقراءة، لا شيء لأتخلص من أفكاري... لا أخبار عن عائلتي منذ ثلاثة أشهر ونصف

الجمعة، السابع من يونيو، 1895

حصلتُ أخيرا على الأوراق وبعض الجرائد

الأمطار غزيرة اليوم

رأسي لا يهدأ ضجيجها

الأحد التاسع من يونيو 1895

أعتقد أن الموت سيكون مريحا، كل شي أصبح موجعا

ليس من حقي أن أفكر على هذا النحو

لا خطابات من عائلتي

الأربعاء 12 يونيو 1895

وصلتني أخيرا رسائل من زوجتي ومن عائلتي، خطابات وصلت إلى هنا في مارس، ثم أعيد أرسالها إلى فرنسا لأكثر من ثلاثة أشهر، كل ما بين السطور يحمل معه حزنا كبيرا، لازلتُ أعاتب نفسي لأنني كتبتُ في بداية ترحيلي أشياء كان يتوجب أن أدفنها داخلي

ثم شيء آخر، عندما أحضر قائد الجزر رسائلي قال لي:"يطلبون منك في باريس أن تشرح كلمة تقليدية"

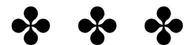
- فليبحثوت، قلت له: ماذا يعتقدون الآن؟؟

-أوه يعتقدون أنك مذنب، لا يصدقون برائتك

- آه أتمنى أن أعيش طويلا لأرد على افتراءات فظيعة لأناس أعماهم الحقد

حصلتُ على بطارية للمطبخ ولأول مرة معلبات من كايين، حياتي المادية تغيرت، قد أستعيد عافيتي. أتوقف هنا عن يومياتي لإعطاء مقتطفات من رسائل زوجتي، وصلت هذه الخطابات إلى كايين أواخر مارس وأعيدتُ إلى فرنسا لتتم قراءتها في وزارة المستعمرات ووزارة الدفاع

في وقت لاحق أخبروا زوجتي أن تضع خطاباتها في الخامس والعشرين من كل شهر في وزارة المستعمرات، منعوها من الحديث عن القضية وعن الأحداث حول القضية، حتى تلك المعروفة لدى العامة، هذه الخطابات كانت تُقرأ وتُدرس، تمر عبر عدة أيادي وأحيانا لا تصلني.. لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال خطابات شخصية



باريس الثالث والعشرون من فبراير 1895

عزيزي ألفريد،

موجوع قلبي، علمتُ بخبر رحيلكَ عن ري حال عودتي من زيارتك، كنتَ بعيدا عني، لكنني كنت أنعم برؤيتك أسبوعيا، كنت أقرأ في عينيك تفاصيل التعب، اليوم ليست لدي إلا رغبة واحدة، حلم واحد، أن أكون معك، أن أنضم إليكَ، فربما أكون أكثر جدوى

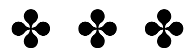
أتمنى أن نكون بلغنا نهاية هذا النفق المعتم، أتمنى أنه على الأقل خلال رحلتك الطويلة أن تكون قابلت أناسا طيبين يعاملونك كما يليق، لا تمر لحظة دون أن أفكر فيك، جد قلقة على صحتك، على روحك الطيبة، يخطر في بالي أنني لا أعرف عنكَ شيئا، ولن أعرف إلى أن تصل

لوسي



باريس 26 فبراير1895

غيابك يثقل روحي، أفكر فيكَ ليل نهار، أقاسمك هذا الوجع. آه لو أمكنني أن أكون قربك، أن أكون ظلك، أن أغرس داخلك بعضي، آه من هذا الحزن الذي امتد إلى أعماق ذواتنا! طلبت من وزارة المستعمرات أن تصرح لي بالالتحاق بك القانون يمنح الزوجة والأولاد امكانية الالتحاق بالمنفي، لا أعتقد أنهم سوف يعترضون على هذا، أنتظر جوابهم بنفاد صبر



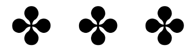
باريس 28 فبراير 1985

لا أعرف أيهما ألأسوء، نهاراتي التي ينهشها التفكير أم كوابيسي الليلية، حائرة ولا أستطيع أن أصف لكَ حجم خيبتي، هذا ما لا أستطيعه

الطفلان وحدهما بأرواحها البريئة وتصرفاتهما يذكراني بواجبي الكبير، وأنه ليس من حقي أن أحيد عن

تربيتهما كما أردت، دائما أتبع كل نصائحك، عندما تعود تجدهما كما تمنيت دوما

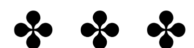
لوسي



باريس الخامس من مارس1895

أرسلتُ لك مع الخطابات مجموعة مجلات بجميع أنواعها، ستعجبك حتما وتساعدك قدر المستطاع على شَغلِ ساعات طوال في انتظار أنباء توقيف المذنب الحقيقي، أتمنى من الله أن تكون الحياة التي تنتظرك هناك لا تفتقر إلى الضروريات وأن تتحمل الأشياء التي سوف يفرضونها عليك، منذ أن تم ترحيلك عن فرنسا وأنا أهاود الانتظار، لا شيء يساوي القلق الذي يعتريني، سأكون ألف مرة أقل بؤسا إذا كنتُ معكَ، سأعرف على الأقل كيف أنتَ؟ كيف صحتك وحالتك النفسية؟ لو كنتُ إلى جانبكَ، على الأقل سوف أطمئن من هذه الناحية

لوسي



يومياتي

السبت 15 يونيو 1895

رهين غرفتي لأسبوع كامل بسبب تواجد مساجين الأعمال الشاقة لإصلاح ثكنة الحرس

هذه الليلة وجع أرقدني السرير

الأربعاء التاسع عشر من يونيو 1895

فصل الشتاء قارب على الانتهاء، جسدي مغطى بالحبوب بفعل لسعات الحشرات، ولكن هذا لا شيء.. كل معاناتي الجسدية لا تساوي شيئا أمام عذاباتي ؟؟ إنهما عقلي وقلبي، إنها ذاكرتي التي لا تغادرني ... متى سيكتشفون الجاني؟؟! متى سأتمكن من معرفة حقيقة هذه التراجيديا ؟ هل سأعيش إلى تلك اللحظة؟؟ أشك بذلك، أشعر بكل كياني يغرق في اليأس ....موقن من

هلاكي..وزوجتي وأبنائي؟؟؟ لا، لن أتركهم، سأساند عائلتي مادمتُ قادرا، مادمت قيد نبض، يجب أن أنال شرفي وشرف أبنائي

السبت 22 يونيو الساعة الحادية عشر ليلا

يستحيل عليّ النوم، أنا هنا رهين العتمة، من السادسة والنصف لا إضاءة سوى تلك المنبعثة من فانوس حجرة الحرس، لا أستطيع أن أدرس الانجليزية ليلا، المجلات التي وصلتني قرأتها بسرعة

بقية الليل ذهاب وإياب للحرس..

ضجيج مستمر لصرير أبواب تفتح ثم تغلق..، جولة الحرس كل ساعتين .. توقيع المشرف على رأس كل ساعة ... صوت مزلاج الباب...هذه الجلبة أصبحت جزءًا من كوابيسي الليلية

الثلاثاء 25 يونيو 1895

عاد السجناء للعمل في الجزيرة، ها أنا الآن أسير حجرتي مجددا

أحرس الخواء و يحرسني

الجمعة 28 يونيو 1895

لازلتُ أسير الجدران أنتظر بلا رجاء

أدرس الانجليزية لثلاث أو أربع ساعات، وبقية اليوم أفكر في هذه المأساة، أحيانا أظنُّ أن قلبي وعقلي سينفجران

السبت 29 يونيو1895

لقد رأيت البريد القادم من فرنسا، هذه الكلمة تهزني هزًّا، تحزُّ قلبي، يخطر ببالي أن الوطن الذي منحته قواي وذكائي يعتبرني خسيسا، هذا ما لا تطيقه روحي

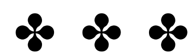
الخميس الرابع من يوليو 1895

عزفت عن الكتابة هذه الأيام، كنت مستاءً إلى أن وصلتني خطابات زوجتي بعد انتظار طويل، خطابات جديدة نسبيا بتاريخ الخامس والعشرين من مايو من زوجتي وعائلتي وأخيرا أخبروا عائلتي أن الرسائل يجب أن تمر بوزارة المستعمرات

لا شيء جديد.. المذنب مازال مجهولا

عذابات عائلتي ترهقني، لا أتحدث عن آلاف الأشياء البائسة التي أمر بها كل يوم، لا بد أن أتحلى بالصبر، لن أتنازل، أريد شرفي وشرف أولادي.

وفيما يلي بعض المقتطفات من الرسائل التي تلقيتها من زوجتي في هذا التاريخ:



باريس الخامس والعشرون من مارس 1895

عزيزي ألفرد

أتمنى أن يصلك خطابي هذا وأنتَ في تمام عافيتك، أترقب أنباء وصولك ، لا يمكنها أن تتأخر أكثر، لقد مرت ثلاثة أسابيع على رحيلك، أي قدر هذا الذي وضعنا على عتبة المجهول؟ وأي أوقات رهيبة ستمر عليك قبل أن نتوصل للحقيقة؟ ..

ماثيو لا يستطيع الغياب، أعرف أنك تحبه و تحب شخصيته

لوسي



باريس 27 مارس 1895

لا تعي ما يصنعه غيابك بقلبي، شيء أكبر من أن يختزل بكلمة، أنت هناك وحدك منفي لا كتف لتسند رأسك عليه، ولا روح تحتوي روحك، أريد أن أكون بقربك، جزء مني هناك، لا هنا، أعيش هناك معك

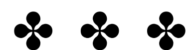
لوسي



باريس السادس من أبريل 1895

قرأتُ هذا الصباح في إحدى الصحف - لا، من دون انفعال - تفاصيل وصولك لجزر صالي، تقول الجرائد إنها جزيرة الشيطان، تلك التي حجزت لكَ، أنباء رحلتك وصلت إلى فرنسا، كيف أنا لم أتلقَّ أي شيء منكَ ؟ عاجزة عن سرد تفاصيل الوجع، بعيدة للغاية عن زوجي الحبيب الذي أعشقه، محرومة من أخباره، لا أعرف حقا كيف تتحمل هذه المأساة الفظيعة

لوسي

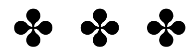


باريس 12 أبريل1895

عزيزي ألفرد

لا أنباء واردة عنك، يتعاظم خوفي، رأيتكَ قبل شهرين ثم لا شيء بعدها، ولا حتى سطر واحد يخبرني عنك.....

بالنسبة لي، الأمر رهيب، أن أشعر أنك جد بائس وتعيس، قلبي وكل كياني معذبان



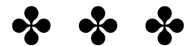
باريس 21 أبريل 1895

الحادي والعشرون، يذكرني هذا التاريخ بأشياء رائعة، بسنوات مرت، كنا جد سعدين، أربع سنوات ونصف لم نعرف سوى السعادة، ثم فجأة ينهار كل شيء

قلتُ لكَ دوما: لا شيء أرغب به، أنا أملك كل شيء، حسنا الآن ليست رغبات، إنها ابتهالات، دعاء..

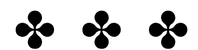
صلاة لله لتكون هذه السنة سعيدة ، لتعود لنا سمعتنا التي لطخت، لننعم بالفرح والقوة والسعادة والصحة..

لوسي



باريس24 أبريل 1895

لا شيء منك، أنا جد أسفة، كل صباح أمل وفي كل مساء أنام مع نفس خيبة الأمل، آه يا قلبي المسكين! كم هو معذب!

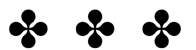


باريس السادس والعشرون أبريل 1895.

اليوم يوم بائس، أسوأ أيام حياتي، تناقلت إحدى الصحف خبر مرضك، القلق الذي ساورني يفوق التصوُّرَ، أن أعرف أنك مريض هناك وحدك، ألا أتمكن من علاجك، هذا رهيب، قلبي وكياني متعبان، لقد توسلتُ لك لتعيش، لست أملك أملا غير أن أراكَ سعيدا، وأن أساهم بجزء

يسير في هذه السعادة، كل الخواطر السوداء مرت بخاطري، توجهت إلى وزارة المستعمرات، قيل لي إن الخبر كاذب

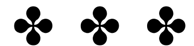
متى يصل خطابك الأول؟؟؟ أنتظره بلهفة طفولية



باريس الخامس من ماي 1895

الرسالة التي أنتظرها بلهفة لم تصل بعد، في كل مرة يمر ساعي البريد ينتفض قلبي، ثم خيبة أمل، نفس الشيء بالنسبة لتصريح الالتحاق بك، الوزراة لم ترد بعد على طلباتي المتتالية المؤرخة بتاريخ فبراير، ماذا أفعل؟؟ ماذا تقترح؟؟

لوسي



باريس التاسع من ماي 1895

أخيرا وصلني خطاب منك، غمرتني نشوة الفرح، سعادة لا يجيد اقترافها غيرك ، كم خفق قلبي عندما رأيتُ كتابتك حبيبي، عندما قرأتُ سطورك، أول كلمات تصلني منذ رحيلك، أي ما يقارب الشهرين، لحضورك نكهة أخرى، معاناتك، عذاباتك، أقاسمها معك

لوسي

تكملة يومياتي

السبت السادس من يونيو 1985

حياة رهيبة من الشك، من المراقبة المستمرة، من لسعات الباعوض اليومية، قلبي جد غاضب وساخط، لكنني مضطر لحفظ عزة نفسي، أن أخفي هذه الأشياء

الأحد السابع من يوليوز 1895

المساجين أنهوا أعمالهم البارحة

اليوم غسلتُ ونظفتُ الأواني بالماء الساخن، غسيلي بحالة مزرية

الأربعاء العاشر من يونيو 1895

بدأتْ المضايقات مجددا، لم يعد بإمكاني أن أتجول حول حجرتي، لم يعد بإمكاني أن أجلس خلفها قبالة البحر، المكان الوحيد البارد والظليل، وُضعت تحت نظام مساجين الأعمال الشاقة، ما معناه المزيد من القهوة والسكرالأسمر وخبز من الدرجة الثانية مع 250 غرام من اللحم مرتين في الأسبوع، باقي الأيام لحم مقدد، قد تشمل هذه الاجراءات الحرمان من المعلبات التي تأتي من كايين، لن أبتعد عن مخدعي مسافة شبر، سأعيش على الخبز والماء

الجمعة 12 من يونيو 1895

حظيت بحصة مميزة لا تشبه تلك المخصصة لمساجين الأعمال الشاقة، النظام الجديد لا يشمل حرماني من المعلبات التي أتلقاها من كاين

هذا لا يهم

إنهم أعصابي وعقلي وقلبي الذين يعانون

لا يمكنني أن أجلس في المكان الظليل الوحيد حيث نسيم البحر يضرب وجهي ويهز روحي

نفس الليلة

لقد تلقيت الآن معلبات من كايين، لكن ما الذي أستفيده من القوت الجسدي إذا كان ما أتحمله لا يطاق؟!

يسجنوني، الشيء الوحيد الذي أفكر فيه هو شرفي، يتبعونني كظلي دوما، كل ما أفعله معرَّض للنقد، معرض للشك، عندما أتمشى بسرعة يقولون إنني أرهق المراقب، وعندما أرفض الخروج يهددون بعقابي، ختاما اليوم الذي ستشرق فيه شمس الحقيقة سيأتي

الأحد الرابع عشر من يوليوز1895

العلم يرفرف، العلم الذي خدمته بإخلاص وشرف

جرحي عميق، الريشة تسقط من يدي، لا مفردات بامكانها وصف مشاعري

الثلاثاء السادس عشر من يوليوز1895

الحرارة جد مرتفعة، هذا الجزء من الجزيرة المخصص لي عارٍ تماما من أشجار جوز الهند التي لا تمتد إلا في الجهة الأخرى، كل أوقاتي أقضيها في الحجرة . لاشيء للقراءة، لم أستلم مجلات الشهر الفائت، أعيتني ذات الأسئلة، كيف حال زوجتي وأولادي الآن ؟؟

السبت العشرون من يوليوز 1895

الأيام تمر رتيبة في انتظار غد أفضل

الشيء الوحيد الذي أفعله هو دراسة الانجليزية

أمطار غزيرة، ضباب حار، وأنا محموم الليلة

الأحد الحادي والعشرون من يوليوز 1895

حمى الليلة الماضية، رغبتُ في التقيؤ

المشرفون مستاؤون أيضا من الطقس

الثلاثاء 23 من يوليوز 1895

ليلة سيئة مجددا، آلام الروماتيزم تسري في كل جسدي وتستقر بين أكتافي، سأصمد، لا بد أن أحيا، أن أعيش لأشهد النهاية

الأحد الثامن والعشرون يوليوز1895

وصل البريد القادم من فرنسا، خطاباتي ستذهب لكايين أولا، ثم تعاد إلى هنا، بالرغم من أنها مقروءة سلفا في فرنسا

الاثنين يوليوز 1895

كما دائما، نفس الشيء، الأيام تشبه بعضها

أطفئ غليان رأسي، أخنق قلبي، أتجاوز أهوال هذة الحياة

موتي محتوم

المساء

يوم ثقيل وخانق لأقصى درجة، أوتار أعصابي مشدودة كخيوط الكمان، الآن نحن في موسم الجفاف، هذا الفصل سيستمر إلى يناير، أتمنى أن تنتهي مأساتي

الثلاثاء 30 يوليوز1895

رحل مشرف آخر هارب من هذا الطقس الخانق، هو الثاني الذي أُجبر على الرحيل منذ قدومي إلى هنا، يؤسفني حقا رحليه، كان رجلا شجاعا يؤدي واجباته بمنتهى الاخلاص

الأربعاء الحادي و الثلاثون من يوليو 1895

كما كل ليلة، حلمتُ بك البارحة، حلمتُ بك وبأولادنا. لازلتُ أنتظر بلهفة البريد القادم من كايين، آمل أن يحمل لي معه خطاباتي، هل ستكون الأنباء جيدة؟؟ هل عرفوا طريق البائس الذي اقترف هذه الجريمة الشنعاء ؟

الأحد الأول من أغسطس منتصف النهار1895

البريد وصل صباحا في تمام الساعة السابعة والربع، هل يحمل معه خطاباتي والأخبار؟

الرابعة والنصف

إلى الآن لم يصلني شيء.. لحظات الترقب قاتلة

التاسعة ليلا

لا شيء، خيبة كبيرة

الجمعة الثاني من أغسطس 1895

ليلة بائسة أخرى، أرغب أحيانا في البكاء، لكنني أخرس الدموع في جوفي، وأطلِق زفراتي بكماء لأني أشعر بالخجل أمام المشرفين الذين يقومون بحراستي على مدار الساعة، ولا ثانية واحدة مع حزني، لا أختلي

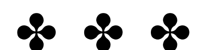
بشقائي . اليوم عليل الروح والجسد، ومع ذلك سأكتب للوسي، سأطلب منها التحلي بالشجاعة كما دائما، يجب أن يدخل أبنائي هذه الحياة مرفوعي الرأس مهما حدث

السابعة مساءً

وصل بريدي سلموه لي الآن.... لا شيء جديد

لكنني سوف أصبر، يجب أن تُعرف المكيدة التي كنت ضحيتها

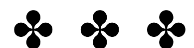
هذه بعض المقتطفات من رسائل زوجتي التي استلمتها مساء الثاني من أغسطس



باريس السادس من يونيو 1895

أنتظر خطاباتك، أنتظر أنباء عنك، ربما يطمئن قلبي على صحتك، الباخرة وصلت في الثالث والعشرين من مايو، اليوم نحن في السادس من يونيو، ولم يصلني شيء

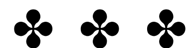
في كل مرة، لا أفكر إلا فيك، حياتي لك



باريس السابع من يونيو 1895

اذا كنتُ قادرة على العيش بعيدة عنك، هذا فقط لأن أملي كبير في المستقبل. لهذا أعدت إرسال طلبي للالتحاق بك في المنفى، على الأقل سأكون أقل بؤسا بأن أعيش معك، بقربك. أمضي ساعاتي في قراءة وإعادة قراءة خطاباتك، إنها عزائي الوحيد في انتظار الالتحاق بكَ

لوسي



اليوميات

السبت الثالث من أغسطس 1895

أرق هذه الليلة

كل هذه الآلام المتراكمة حولي وعجزي التام عن دفعها

السبت الرابع من أغسطس 1895

أنفقت ساعتين في الغسيل من الخامسة والنصف إلى السابعة والنصف، هذه المجهودات تنهكني، لكنها تريحيني أيضا . أقاوم صدأ الأيام، هذا الطقس وهذه العذابات لأنني أريد أن أستعيد شرفي

لم أستلم أي مجلة منذ شهرين .... لا شيء للقراءة

لا أفتح فمي، دوما مطبق كالراهب

طلبت من كايين صندوق لأدوات النجارة لأتمكن من الانشغال، تم رفضه، لماذا؟ لغز آخر لن

أزعج نفسي بالبحث عن إجابة له، منذ تسعة أشهر وأنا أمام عدة ألغاز تحير ذهني لدرجة أنني أريد أن أطفئ عقلي وأعيش مجنونا

الاثنين الخامس من أغسطس 1895

الحرارة لا تطاق، أشعر أنني مكسور، متعب جدا من كل ما يحدث منذ تسعة أشهر

السبت العاشر من أغسطس 1895

لا أعرف إلى أي مدى سوف أتحمل! عقلي وقلبي سينفجران، هذه المأساة أفقدتني ثقتي وإيماني في العدالة الإنسانية. عندما تصلكِ هذه السطور، حبيبتي لوسي، تأكدي أنني فعلتُ كل شيء ممكن لأقاوم هذا القدر . كوني شجاعة وقوية

الاثنين الثاني من سبتمبر1895

مضى زمن طويل لم أضف فيه أي شيء ليومياتي

ماذا سأجني ؟ أكافح لأعيش، وضعي سيئ وقلبي يحترق لأنني أريد أن أراني وسط زوجتي وأبنائي، أن أكون وسط عائلتي في اليوم الذي أستعيد فيه شرفي. أتمنى أن ينتهي كل هذا، جد متعب، البارحة توقف قلبي لهنيهة، شعرت أنني رحلت، غادرتُ هذا المكان دون معاناة، دون ألم، أجهل ما كان هذا

لازلت أنتظر بريدي

الجمعة السادس من سبتمبر1895

لا خطابات منك

الأموات سعداء

مجبر على العيش، العيش إلى آخر نفس مادام قلبي ينبض

السبت السابع من سبتمبر

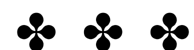
تلقيت خطاباتك، المذنب لازال مجهولا

مقتطفات من رسائل تلقيتها اليوم نفسه

✤ ✤ ✤

باريس الثامن من يوليوز 1895

استلمتُ خطابات مايو ويونيو، استقبلتها بكل حفاوة، كما دائما، غدوت أكثر بهجة، اعتقدتُ لوهلة أنني أسمع صوتك يهمس في أذني، صوتك يتردد داخلي، قدْر من أفكارك يدور الآن في رأسي، ذرفت دموعي وأنا أقرأ كلماتك التي تدفعني لفعل الحياة، سعيدة حقا لأنك تعافيت، شجاعتك تدعمنا وتقوينا في المشوار الذي رسمناه، لقد تأثرت جدا بالرسالة التي كتبتها لبيير، لقد كان جد سعيد عندما قرأت له سطورك



باريس التاسع من يوليو 1895

سأكررها لكَ، اصبر وتحلَّ بالشجاعة، بالإرادة القوية سنتجاوز كل الصعوبات، سنتمكن من السيطرة على هذه المأساة الرهيبة التي هزت أعماقنا . هدفي الوحيد، رغبتي الوحيدة، الفكرة الوحيدة، وتلك لماتيو، لنا كلنا، أن نمنحك السعادة القصوى لترى براءتك في يوم عظيم

أريد أن نتوصل إلى المذنبين الحقيقين، وحشتيهم لا مثيل لها، لولم نكن نحن الضحية لما صدقتُ أنه يوجد أناس على هذه الأرض منحطون وقادرون على حرمان عائلة من اسمها ومن شرفها، عائلة كانت فخورة باسمها، أناس سمحوا لأنفسهم بأن يدفع ضابط شريف ثمن جرائهم من دون أن تردعهم ضمائرهم

لوسي



اقتباسات من خطابات زوجتي

باريس الرابع من أغسطس 1895

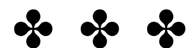
عاجزة عن انتظار بريدك لأكتبَ لك، أحتاج للحديث معك، لأن أقترب من روحك الطيبة، لأن أزرع بعضي داخلك......



باريس الثاني عشر من أغسطس 1895

أخيرا تلقيت خطابتك، التهمتها، قرأتها، وأعدت قراءتها، متى سأتمكن من أن أمحو عنك ذكريات هذه الأيام الرهيبة، هذا الحزن الذي غرس أنيابه في قلوبنا؟ كم نحتاج من وقت لنبرأ من هذا؟ لو أستطيع أن أضاعف قواي لأصل لتلك اللحظة المنتظرة لنظهر للعالم أجمع أننا أنقياء من هذه القذارة التي لطخنا بها! ......

لوسي



باريس التاسع عشر غشت 1895

....وحدك هناك بعيد عن الذين يحبونك وتحبهم، فريسة للانتظار الرهيب، تتعب رأسك في محاولة فهم أشياء يستعصى إدراكها ..

اليوميات

السادس من أكتوبر1895

الحرارة لا تحتمل، الساعات كالرصاص

الرابع عشر من اكتوبر1895

الرياح قوية، يستحيل الخروج، يوم طويل جدا

السادس والعشرون من أكتوبر 1895

أجهل كيف أعيش، عقلي يغلي، سأكون كاذبا إن قلت إنني لا أعاني، إن قلتُ إنني لا أتمنى وأستعجل الراحة الأبدية، وإنني عاجز عن خلق توازن بين كرهي العميق للأشياء وللأشخاص وواجبي تجاه عائلتي . في أيامي القاتمة، أفكر كيف بعد كل هذه الحياة من العمل، من الاخلاص؟؟ كيف يمكن أن أنتهي هنا؟ أريد أن أطبق جفني لكي لا أرى .. لكي لا أفكر، لكي لا أتألم .. أصرخ داخلي

بكل قوة (أنتَ لستَ وحدك، أنت أبٌ، يجب أن تستعيد شرفكَ، شرف زوجتكَ وأبنائك) وأبدأ مجددا لأسقط ثانية، ثم لأسقط و أسقط ..

تشنجات في القلب

طقس لا يحتمل، إنها فترة انتقالية قبل فصل الأمطار

إنها أصعب فترة في كايين

هل سأنتهي؟؟

ليلة الثاني إلى الثالث من نوفمبر 1895

وصل البريد القادم من كايين، لكن دون خطابات، خيبة أخرى بعد هذا الانتظار لأشهر طويلة بلا أنباء عن عائلتي، لا شيء يأتي، مثقلة روحي بالأحزان، إلى متى سيستمر هذا العذاب؟

الرابع من نوفمبر1895

الحرارة خمسة وأربعون درجة على الأقل

لا شيء يرهق القلب والروح، لا شيء أكثر، احباطا من هذا الصمت الطويل، دون سماع صوت إنساني، دون ملامح وجه تألفه روحك

السابع من نوفمبر1895

أين هي خطاباتي الآن ؟؟؟ أين توقفت؟ هل هي محاصرة في باريس ؟؟ أو كايين؟ الكثير من الأسئلة المعلقة أطرحها تقريبا كل ساعة و كل يوم، في كل لحظة. أتساءل أحيانا إن كنتُ أحلم! كل شيء يحدث منذ سنة لا يصدق ولا يمكن تخيله . أن تترك وطنك الألزاس، أن تترك خلفك حياة مستقرة هادئة، أن تخدم بلدك بكل إخلاصك، بكل ذكائك، لتنتهي في يوم من الأيام إلى حافة الهاوية، متهمًا بجرم شائن استنادا إلى ورقة . مجبرٌ على الحياة من أجل لوسي، من أجل أولادي

التاسع من نوفمبر1895

يوم طويل جدا وتساقطات أولى، مجبر أن ألزم حجرتي، وأتقوقع فيها

لا شيء للقراءة، الكتب (التي أخبرتني عنها في خطابات أغسطس لم أستلمها بعد)

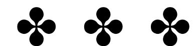
الخامس عشر من نوفمبر 1895

وأخيرا وصلتني خطاباتك، المذنب لازال حرا

سأكمل للنهاية مشوار الألف ميل، أنهار يوما بعد يوم، إنه صراع مستمر ضد هذه العزلة القاتلة، ضد هذا الصمت الأبدي وهذا الطقس الذي لا يطاق

لا شيء لفعله، ولا شيء لقراءته، وجهًا لوجهٍ مع أفكاري الحزينة والمحبطة

بعض الاقتباسات من خطابات زوجتي التي استلمتُها

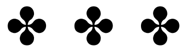


باريس الخامس من سبتمبر 1895

لا شيء سوى الساعات الطويلة منذ اليوم المنحوس، أتمنى أن نكون قد مررنا بالأسوأ وأننا اجتزنا العقبات. الرب الذي امتحننا هو القادر على منحنا القوة لمواصلة واجبنا على أكمل وجه

أتفهم قلقك وأقاسمك الشعور، أنا أيضا أمرٌّ بلحظات عصيبة حيث أفقد صبري، وقت الانتظار رهيب، لكن أفكر فيك، أفكر في شجاعتك وحبك، واستمد منهما القوة

لوسي



باريس الخامس و العشرون من شتنبر1895

هذه آخر رسالة أكتبها لك قبل أن أرسل البريد، مع تمنياتي بأن تكون بخير وبصحة جيدة وقويا وشجاعا ، لا أستطيع الالتحاق بكَ، ليس لدي ترخيص لذلك ، هذا الانتظار قاتل، خيبة أمل أخرى تضاف لسلسلة خيباتي

لوسي

في نهاية الرسالة هناك بعض السطور لأخي ماثيو

لقد وصلتني رسالتك أخي العزيز وإنه لعزاء لي أن أعلم أنك بهذه البسالة والقوة، ثق أخي أنه يستحيل أن يدفع بريئ خطيئة مذنب، لا يمر يوم من دون أن أفكر فيك بقلبي وعقلي

ماثيو

يومياتي

الثلاثون من نوفمبر 1895

لا أريد أن أكلمكِ عن اللسعات اليومية، أجدها تافهة، يكفي أن أخبرك إنني إن طلبت من المشرف أي شيء مهما بلغت تفاهته يُوَاجَه طلبي بالرفض، ولا أكرر طلبي نهائيا، أفضِّل أن أموت على أن تهان كرامتي أمام إنسان.. سينتهي بي المطاف مجنونا

الثالث من ديسمبر1895

لم أتلقَّ بعد بريد شهر أكتوبر

أمطار لا تتوقف ، عقلي ينفجر وقلبي مكسور

السماء سوداء كالحبر

جو ضبابي، اليوم يصلح للموت و للدفن

كم من مرة أتذكر عبارة شوبنهاور (لو أن الله هو الذي خلق العالم فأنا لا أريد أن أكون *إِلَهًا*) . البريد القادم

من كايين وصل، لكنه لا يحمل خطابات لي، لا شيء سوى الفراغ ، لا شيء للقراءة، لا شيء لأهرب من أفكاري، لا مجلات... لا كتب .. لاشيء يصلني

أمشي طيلة النهار إلى أن تنهار قواي، فربما يهدأ طنين رأسي وأعصابي

الخامس من ديسمبر1895

حقا أتسأل: ما قيمة الضمائر اليوم ؟؟

كيف أن رجال شرفاء مثل المدعو برتيون شهدوا وأقسموا بلا تردد أنه لا يوجد غيري بإمكانه كتابة هذه الرسالة؟

آه كم أتمنى أن أشهد ذلك اليوم الذي يُعرف فيه المذنب ليبحث أولئك الذين ساهموا في شقائي عن رصاصة لتفجيرها في رؤوسهم من باب إحقاق العدالة!

السابع من ديسمبر1895

آه! مللت هذه الحياة من الشك المتواصل، هذه العيون التي تتربص بي، أعامل كالوحش، كأخطر مجرم

الثامن من ديسمبر 1895

أعصاب رأسي تزداد حدة يوما بعد يوم، آلام رهيبة

وهذا السكون مطبق، بلا صوت أدمي، بلا نظرة ودودة تخفف جروحي، بلا يد تمتد لتزرع الأمان داخلي، لا شيء هنا سوى العدم

التاسع من ديسمبر 1985

لا خطابات، ربما احتجزوا في كايين لخمسة عشر يوما، البريد مرَّ تحت عينيّ قادمًا من فرنسا يوم التاسع والعشرين من نوفمبر، منذ ذلك الوقت وخطاباتي في كايين

نفس اليوم السادسة مساءً

ثاني بريد من كايين وصل عند الواحدة، هل سيسلمونني خطاباتي؟ هل من جديد؟

الحادي عشر من ديسمبر السادسة مساءً

لا خطابات، قلبي يحترق

الثاني عشر من ديسمبر 1895 صباحا

بريدي لم يصل، أين احتجز؟؟ أرسلتُ تليغرافا لكايين لأطالب به

في نفس اليوم

بريدي لازال في فرنسا

الثالث عشر من ديسمبر 1895

سيقتلونني في نهاية المطاف، أو ربما أنتحر لأنجو من هذا الجنون، سأترك عار موتي للقائد دي باتي ولبرتيون، لكل الاشخاص الذين شاركوا في اللاعدالة، شاركوا مهزلة جلدي

كل ليلة أحلم بزوجتي وبأولادي ، وعندما أفيق وأجد نفسي في هذا المكان أتمنى حينها أن أطبق عينيّ للأبد كي لا أرى، كي لا أسمع، لا أفكر

تشنجات قلبية و اختناقات

الرابع عشر من ديسمبر 1895

طلبتُ أن أستحم، كما رُخص وكما أمرني الطبيب، تم رفض الطلب، قررتُ ألا أطلب مجددا، لن أطلب شيئا، لن أفعلها

السادس عشر من ديسمبر1895

من العاشرة إلى الثالثة بعد الزوال ساعات رهيبة ولا شيء لتبديد أفكاري المحبطة

الثامن عشر من ديسمبر1895

عزيزي بيير، عزيزتي جان، حبيبتي لوسي، أراكم، أراكم جميعا، أستحضركم في رأسي، ذكراكم تمنحني القوة لأتحمل كل شيء

العشرون من ديسمبر 1895

كل الإهانات مورست عليّ عندما أستلمت ملابسي مغسولة في جزيرة رويال، كانت تُفتش من كل الجوانب ثم تُطوى ثم تُرمى، كأي مجرم حقير أُعَامَل

كلما تمعنت في هذا البحر، عاودتني الذكريات، ذكريات لحظات فيروزية مع زوجتي وأبنائي، أراني أتجول

مع طفلي بيير على الشاطئ ، ألاعبه، نحلم معا بمستقبل له، ثم أستفيق على وضعي الرهيب، على العار الذي لحق اسمي واسم أبنائي، الدم يغلي في رأسي، قلبي يخفق إلى حد الانفجار، أشعر بالسخط، لا بد أن يسطع النور، يجب أن تظهر الحقيقة مهما كانت عذاباتنا

الثاني والعشرون من ديسمبر1895

لا أخبار عن عائلتي... صمت القبور،

أمضيتُ ليلة رهيبة، ذلك الذهاب والإياب المستمر للمشرفين

انعكاس الأضواء التي تمر وتمر وتمر

جلبة الأقفال تغذي كوابيسي

الخامس والعشرون من ديسمبر 1895

مؤسف، لا شيء يأتي، البريد الانجليزي مر منذ يومين، خطاباتي لم تصل بعد

الأمطار تتساقط باستمرار، في لحظة صفاء خرجتُ لأرتاح قليلا، نزلت بعض القطرات، قدم المشرف الأول وأخبر الحارس أنه لا يجب أن أبقى في الخارج عند تساقط الأمطار، أين كتب هذا؟ في أي بند؟ لم أنبس ببنت شفة، أتعالى عن هذه التفاهات والترهات اليومية

ليلة السادس والعشرين والسابع والعشرين من ديسمبر1895

أرق ...هذا النوم الذي كلما حضرتُ أنا غاب هو عامدا

في أي كابوس أعيش الآن؟ مرت خمسة عشر شهرا، متى ينتهي؟

الثامن و العشرين من 1895

متعب للغاية، رأسي يغلي، ماذا يحدث؟؟ لماذا لم تصلني خطابات أكتوبر ؟؟ آه يا لوسي لو تقرئين هذه السطور! لو متُّ قبل أن يسدل الستار عن مأساتنا! سوف تدركين حجم محنتي. في كل اللحظات التي أنهار فيها، في هذا الكره العميق لكل الأشياء، ثلاثة أسماء تمر في رأسي توقظني، تجدد قواي، تمنحي القوة.. لوسي، بيير، جان

نفس اليوم الحادية عشر صباحا

لمحتُ البريد القادم من فرنسا، للأسف خطاباتي ستذهب لكايين أولا، أتمنى لو أن أول بريد قادم من كايين يحملها معه، لا أعرف أخباركِ، عزيزتي، ولا أخبار أبنائي وعائلتي

ماذا أفعل لو حُل هذا اللغز؟ سأدرك أن أدرك أن هذه الوحشية انتهت للأبد

الأحد التاسع وعشرين من ديسمبر1895

أمضيتُ يوم أحد رائعًا وسط عائلتي، ألعب مع أطفالي، بيير الصغير صار في عمر الخمس سنوات، رجلا صغيرا، أنتظر بلهفة لحظة مرافقته، أن أحدثه، أفتح مخيلته وذهنه، أن أمنحه ثقافة الحقيقة والجمال، أن أساهم في سمو روحه، بحيث تتغلب على قبح هذه الحياة ..أين كل هذا ؟ لا شيء

الثلاثون من ديسمبر 1895

الدم يغلي والحمى تلتهمني، متى تنتهي هذه المأساة؟

نفس الليلة

متى يهدأ هذا الوجع ؟ إنني أخاف من النوم، يسحقني هذا الصمت بلا أنباء عن عائلتي لأكثر من ثلاثة أشهر

لا شيء للقراءة

يجب أن أستجمع كل قواي لأستمر، هذه الأسماء تمر و تمر في رأسي: لوسي، بيير، جان

الحادي والثلاثون من ديسمبر1895

ليلة رهيبة، كوابيس غريبة وتعرُّق

في الساعات الأولى من هذا الصباح، لمحتُ الباخرة قادمة من كايين

رددتُ في نفسي: "ربما يأتي شيء منك، ربما أحظى بأنباء عن عائلتي"

قلبي يخفق، هذا الانتظار المقلق

الأول من يناير 1896

وأخيرا، وصلتني البارحة خطابات أكتوبر ونوفمبر

لا شيء ...الحقيقة لازالت غائبة

الكثير من الحزن الذي ألحقته بلوسي من خلال خطابتي الأخيرة

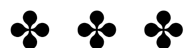
هذه بعض الأجزاء من خطابات زوجتي التي استلمتها في الأول من يناير1896

✤ ✤ ✤

باريس العاشر من أكتوبر 1895

من هذا البريد، استلمت خطابا واحدا فقط، لم يصلني ذلك الذي كتبتَه في الخامس من أغسطس. كما دائما، هذه السطور الغالية المكتوبة بيدك هي الشي الوحيد الذي يوحي بوجودك، والذي يأتي ليدس الفرح في قلبي، شجاعتك تمنحني القوة لأستمر

لوسي



باريس الخامس عشر من أكتوبر 1895

هذا التاريخ يذكرني بأشياء رهيبة ، أشعر بتحسن وأعتقد أن الأمر يريحك أيضا، لا أريد أن أذكرك بتلك الأيام الرهيبة، الأيام التي عانينا فيها أنا وأنت كل واحد على حدة، أفضل أن ننساها للأبد . الجرح لم يلتئم بعد، إننا على ثقة بأننا سننتصر على كل العقبات وسنصل للبؤساء الذين ارتكبوا هذا الجرم

لوسي

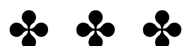


باريس الخامس عشر من أكتوبر1895

...الأشهر التي نعاني فيها تكون جد طويلة، تتشابه في حزنها ورتابتها، هذا خطاب آخر كسابقيه يحمل لك مجرد كلمات الأمل لا غير، ذات الموضوع وذات

المفردات، الانتظار طويل ورهيب، لكن صدقني لن يذهب سُدًى

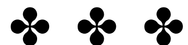
لوسي



باريس العاشر من نوفمبر 1896

أقرأها وأعيد قراءتها، رسالتك الوحيدة إنها القليل، لكنني سعيدة بهذا القليل من شخص هو الأغلى، لا أشك أنك تكتبُ لي دوما. أتساءل: لماذا لا يسلموني هذه الخطابات؟ إنها عزائي الوحيد

بيير وجان سعيدان وشجعان، مفعمان بالحياة ومحبوبان من الجميع، يكبران يوما عن يوم، يصبحان أقوى. ستكون سعيدا عندما ستظهر الحقيقة وتحملهما بين ذراعيك



باريس الخامس و العشرون من نوفمير 1895

منتصف الليل

خطاباتي ستكون على الباخرة غدا يوم التاسع من ديسمبر. برغم الوقت المتأخر، لا أستطيع منع نفسي من الكتابة لكَ، يزعجني أن ترحل سطوري هذه باردة وتافهة وبعيدة جدا عما يدور في خاطري، أن أكتب لك عن مشاعري هذا ما لا أستطيعه. أعتقد أن جزءًا صغيرًا مني هو هنا، لأن قلبي وروحي هناك في تلك الجزر البعيدة بقربك

لوسي



يومياتي

الثامن من يناير 1896

الأيام والليالي تمر برتابة كأنها لا تنتهي أبدا، أنتظر الليل بلهفة، فربما أحظى ببعض الراحة في النوم، وفي الليل أنتظر النهار لأمارس القليل من النشاطات ..... أقرأ وأعيد قراءة رسائل البريد الأخير، فهمتُ كيف شكل اختفائي صدمة لكل عائلتي وأنه من واجبي تجاههم أن أستمر بالكفاح للنهاية.

الثاني عشر من يناير 1896

رد السيد رئيس الجمهورية على العريضة التي أرسلتُها في الخامس من أكتوبر 1895

(مرفوض من دون تعليق)

الرابع و العشرون من يناير 1896

لا جديد يذكر

الساعات تتشابه في انتظار غد أفضل

السابع والعشرون من يناير1896

وأخيرا تسلمت مجموعة من الكتب بعد عدة أشهر من الانتظار، سأتمكن من أن أصفي ذهني رغم أنني عاجز عن القراءة لساعات طويلة

الثاني من فبراير1896

البريد القادم من كايين وصل

لا خطابات لي

الثاني عشر من فبراير1896

لا شيء جديد

لا بد أن أصمد، أن أستمر بذلك

مقتطفات من خطاباتي لوسي

✤ ✤ ✤

باريس في التاسع من ديسمبر 1895

كما دئما شعوري جيد كلما وصلتني خطاباتك المنتظرة بلهفة، إنها اللحظة الوحيدة التي أعرف أن أتذوق فيها طعم الفرح منذ أشهر رهيبة، عندما أقرأ سطورك أشعر بكل كيانك يرقص معي، معنوياتي ترتفع، أشعر انها تضاعفت

باريس التاسع عشر من ديسمبر1895

السنة الماضية في نفس الفترة كنا نتمنى أن نصل لنهاية محنتنا، وضعنا ثقتنا الكاملة في العدالة، أذهلنا الخطأ البغيض الذي ذهبنا ضحيته، مر عام كامل من البؤس، من الحرج، من الحياة الصعبة التي تعيشها

الخامس والعشرو ن من ديسمبر 1895

بالرغم من أن البريد سينطلق، لا أستطيع منع نفسي من الكتابة لك، نعم أدرك أن كل ما أخبرك به هو مكرر ولا جدوى منه، لكن من يعبأ؟ المهم أن أتحدث معك، أقترب منك، ألامس روحك للحظات ....

لم أحدثك بعد عن الأولاد، إنهما هما اللذان يربطاني بالحياة، من أجلهما نتحمل هذه الفظاعة، أشكر الرب أنهما ينعمان بالسعادة، ينشدان و يلعبان

لوسي

يومياتي

الثامن والعشرون من فبراير1896

لا شيء للقراءة، نهاراتي تكرر بعضها ، لا أفتح فمي، لا أطلب أي شيء، محادثاتي قاصرة على ذات السؤال (**هل حضر البريد أم لا؟**)

يمنعونني من الكلام، أو بتعبير آخر يمنعون المشرفين من الرد على الأسئلة التافهة بلا معنى التي أطرحها ، أريد فعلا أن أعيش إلى أن تظهر الحقيقة، لأصرخ من الألم، من العذابات التي ألحقوها بي

الثالث من مارس1896 السادسة مساء

البريد القادم من كايين وصل هذا الصباح الساعة التاسعة، هل لديّ خطابات ؟

الرابع من مارس1896

لا خطابات، عذاب رهيب متجدد

منعزل عن العالم بأسره

الثامن من مارس 1896

أيام موحشة، كل شيء ممنوع

وجهًا لوجه مع أفكاري

أنتظر معجزة

التاسع من مارس 1896

لقد لمحتُ صباحا في وقت مبكر جدا وصول قارب قائد الاصلاحية، هل هناك شيء بخصوصي؟؟

للأسف لا شيء يخصني، إنها مجرد زيارة

الثاني عشر من مارس 1896

استلمتُ أخير خطاباتي، لا شيء جديد للأسف

أجزاء من خطابات لوسي

باريس الأول من يناير 1896

هذا اليوم الأول من يناير طويل جدا ورهيب لماذا؟؟ أسباب المعاناة هي هي، سواء بالليل أم النهار، مادامت برائتك لم تظهر بعد، من دون هذه البراءة لا فرق بين الأيام، إنها متشابهة، كيف لنا أن ندرك السعادة؟

✤ ✤ ✤ ...

باريس السابع من يناير 1896

لقد استلمتُ خطاباتكَ، لامستْ روحي، كما دائما، كم تكون فرحتي كبيرة عندما تقع عيني على خطك وعندما أتسلل لرأسك بخفة! أتفهمك عزيزي، لا أحد يدرك نفاد صبرك سواي، لا يمكن أن يكون مختلفا، أنت

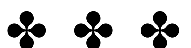
هناك في عزلة عميقة تجهل تماما ما يدور حول القضية، بعيد عن أحبائك، نعم الوضع سيء

في الخطاب الأخير كانت هناك بضع سطور من أخي ماثيو

أخي العزيز

نعم كما قلت في خطابك 20 نوفمبر كل إرادتي وذكائي باتجاه هدف واحد: أن نعرف الحقيقة وسنعرفها. سأكرر هذا إلى اليوم الذي سأقول لك فيه إن براءتك عرفت والنور سطع، لكن لا بد أن تحيا، عليك أن تتحمل كل عذاباتك الجسدية والمعنوية، هذا ليس أكبر من قدرتك

ماثيو



اليوميات

الخامس عشر من مارس الرابعة صباح1896

لم يغمض لي جفن، رأسي متعبة للغاية مع هذا الكسل الجسدي والفكري .

الكتب التي أعلمتني لوسي بقدومها منذ ما يزيد عن ثلاثة أشهر لم تصل بعد، بالرغم من أن ذهني متعب لدرجة أنني لا أستطيع القراءة لوقت طويل، لكن تلك اللحظات التي أستطيع فيها الهروب من أفكاري أرتاح قليلا

السابع و العشرون من مارس 1896

وصلتني أخيرا مجموعة الكتب التي أُرسلت في الخامس و العشرين من نوفمبر

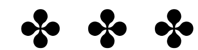
الخامس من أبريل1896

استلمت بريد شهر فبراير

المذنب لازال مجهولا

مهما كانت معاناتي، لا بد أن تظهر الحقيقة، لا مجال للشكوى

أجزاء من من خطابات زوجتي التي وصلتني في الخامس من ابريل



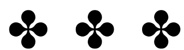
باريس الحادي عشر من فبراير1896

خطاباتك تأخرت كالعادة، لم أستلم بعد رسائل شهر ديسمبر، لن أشكو العذاب الذي يفعله بي هذا التأخير، غير مُجْدٍ، لا أحد سيستوعب، لا شيء أسوأ من أن تحرم من شخص أودعته قلبك وروحك، شخص

تدرك أنه تعيش وأن حياته غالية عليك، أغلى مائة مرة من روحك نفسها

في ساعات الهدوء، أحيانا أتساءل: لماذا نحن؟؟ لماذا أسرفت الحياة في منحنا عذابا كبيرا كهذا ؟

لوسي



باريس الثامن عشر من فبراير1896

لا شيء عنك، أعلم أن خطاباتك هي الآن في وزارة الدفاع منذ ثلاثة أسابيع، نفد صبري، أريدها، أريد أن أحظى بنصيبي الشهري منك، كل تأخير يرهقني ....



باريس الخامس والعشرون من فبراير 1896

في اللحظة عينها التي كنتُ أكتبُ فيه آخر خطاب قبل انطلاق البريد، استلمتُ خطاباتك ممتنة من أعماق قلبي على تلك السطور التي تبعتها

لوسي

اليوميات

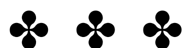
الخامس من ماي 1897

لا شيء لأقوله، كل شيء يتشابه في فظاعته

اليأس يكبر داخلي، لا لحظة للراحة إلى الآن، كان المشرفون يجلسون طوال الليل، كنتُ أستيقظ على رأس كل ساعة ، الآن يتحركون بلا توقف كأنما يعبرون رأسي

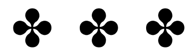
تمر الأيام قاتمة ورهيبة، لكنني أحتفظ بإرادتي القوية، لا شيء يكسرني ، في يونيو أصبتُ بحمى التي أدت إلى تشنجات عصبية. توقفت اليوميات لأكثر من شهرين

هذه بعض المقتطفات من رسائل لوسي لشهري مايو ويونيو



باريس التاسع والعشرون فبراير 1896

عندما استلمتُ بريد ديسمبر، كانت رسائلي جاهزة للانطلاق، السطور التي كتبتها على عجل كانت غير كافية



باريس العشرون من مارس 1896

هل تدرك ما أشعر به عندما يحل منتصف الثاني من الشهر، الشيء الذي يعني انطلاق البريد، أتمنى لآخر لحظة، لآخر دقيقة، أن أحمل لك نبأ انتهاء محنتك وانتهاء محنتنا، لكن الرسائل تذهب خالية من كل جديد، يعتريني البؤس، حينها أفكر في الخيبة العميقة التي ستواجهها



يومياتي

السادس و العشرون من يوليو 1896

منذ فترة طويلة لم أكتب شيئا في يومياتي

أفكاري ..مشاعري.. بؤسي، كل شيء ثابت، عزيمتي قوية، برغم من تعبي الجسدي والعصبي الذي يتعاظم كل يوم

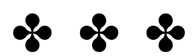
لا خطابات من زوجتي

الثاني من أغسطس 1896

تلقيت رسائل مايو ويونيو، لا شيء، كما العادة

لا يهم، سأكفح ضد قلبي وعقلي وجسدي ما دام هناك متسع للنبض لأنني أريد أن أشهد نهاية هذه الدراما

أتمنى ألا تتأخر هذه النهاية



مقتطفات من رسائل زوجتي استلمتها في الثاني من أغسطس

باريس العاشر من يونيو 1896

خطاباتك الغالية استلمتها الآن، شعرت بالحزن عندما لمحت خطك حبيبي، عندما قرأت سطورك وأخبارك خلال شهر طويل، جننت من البؤس، كادت رأسي تنفجر، بكيت بحرقة، ثم تمالكت نفسي، اعتراني الخجل، شعرت بضعفي، خطاباتك تحملني إلى السماء السابعة، حتى وإن كسرت للحظة سعيدة لقراءتك

لوسي

باريس الخامس والعشرون من يونيو 1896

أضيف بعض السطور لخطاباتي قبل انطلاق البريد، أريد أن أخبرك أنني قوية، أن إرادتي صلبة وأنني سأتمكن من استعادة سمعتنا، وأتوسل إليك أن تتحلى بالأمل في المستقبل، أن تتحلى بالايمان الذي جعلنا نتحمل أصعب المحن في سبيل استعادة اسم ولدينا

لوسي



يومياتي

الثلاثون من أغسطس 1896

ها قد حلت مجددا الفترة التي أنتظر فيها بريدي، تلك الفترة التي تتسرب فيها الأسئلة عنوة إلى رأسي: في أي يوم ستأتي خطاباتي؟ وأي أخبار ستحمل معها ؟ أغسطس رهيب عاشته لوسي، أولا خطابي الذي تلقته في الأول من يوليو عندما كنت مصابا بالحمى، ثم حرمانها من خطاباتي وكأن الأحزان تأبى أن تأتي فرادى

عجزتُ عن السيطرة على نفسي، حمَّلتُها تعبي فوق تعبها، و كأنه لا يكفيها ما هي فيه، و كأنها لا تنتظر مثلي بفارغ الصبر انتهاء هذه المحنة، ثم يوم عيدها الحزين غاليتي لوسي المسكينة. كنت أعتقد أنه لا توجد معاناة أكبر مما أمر به، لكن هذا اليوم كان أسوأ، لولا أنني لم أتمالك نفسي لصرخت من الألم . عبر الأثير

أبعث لك عزيزتي لوسي أعمق حبي وأكررها لك، كوني شجاعة، أمام هدفنا، استرداد شرفنا، يجب أن نتجاوز كل شيء

الأول من سبتمبر 1896

يوم طويل جدا ورهيب في انتظار بريدي، أنتظر ما يحمله لي؟

شبه متقوقع في ألامي، أركز كل قواي كي لا أفكر.. كي لا أرى

موت لانهائي، موت متجدد

ما هذه المعاناة ؟ ما هذا العذاب؟؟ لعائلة جل ما تملكه هو الشرف والاخلاص والاستقامة

الأربعاء الثاني من سبتمبر 1896 العاشرة صباحا

عانيت من الأعصاب لليلة كاملة، هذا الصباح، رغبت أن أريح أعصابي من خلال المشي، لكن السماء أمطرت ، وهو الشيء على غير المعتاد في هذه الفترة من العام لأننا في الفصل الجاف

لا شيء للقراءة

لم أستلم أي شيء من الكتب التي أرسلتها عزيزتي لوسي في شهر مارس، لا شيء لقتل هذه الساعات الطوال، لقد طلبتُ منذ فترة أي عمل يدوي لأنشغل قليلا، لا ردود تلقيتها

عبر فتحة السياج، أبحث في الأفق عن أي أثر للدخان، مما يعني قدوم البريد من كايين

نفس اليوم منتصف النهار

لقد لمحت دخانا على ساحل كايين، ربما هو البريد

آه كم هو موجع هذا الانتظار

نفس اليوم السابعة مساء

لقد وصل البريد في الواحدة مساء، لم تصلني خطاباتي بعد، أعتقد أنهم لن يسلموها لي

الخميس السادسة صباحا

ليلة رهيبة من الحمى

التاسعة صباحا

القارب وصل، لكنني لم أستلم خطاباتي، يبدو أنها رهينة في كايين منذ الثامن والعشرين من الشهر الفائت

الجمعة الرابع من سبتمبر 1896

تسلمتُ البارحة مساءً البريد، رسالة واحدة فقط من غاليتي لوسي، شعرتُ أن حالة من الحزن تسري في العائلة وخيبة كبيرة لأنهم عاجزون عن إيجاد المذنب لتنتهي محنتنا

الماء يغلي في رأسي و ساقاي عاجزتان عن حملي وأنا أقرأ رسائل أفراد عائلتي. هل كتب لنا أن نتعذب بهذه الطريقة غير المستحقة؟

أمام وضع كهذا، الكلمات لا قيمة لها

آه يا لوسي! آه يا أطفالي الأعزاء!

عندما تظهر الحقيقة وعندما يظهر المجرم الحقيقي أتمنى أن يعاني كل هؤلاء اللذين ظلموني

اليوميات

السبت الخامس من سبتمبر 1896

كتبتُ ثلاث رسائل طويلة متتالية لغاليتي لوسي، لأخبرها أن تصمد، أن تطرق كل الأبواب، لأن هذا الوضع يسحقني ، الأمر يتعلق بسمعتنا، باسمنا، بحياة أطفالنا، أمام هذا الهدف الكل يجب أن يخرس

لن أتكلم عن لياليّ، عن نهاراتي، كل شيء متشابه في بشاعته

الأحد السادس من سبتمبر 1896

لقد علمت أنه لا يمكنني أن أتجول في الجهة التي كانت مخصصة لي، لن أستطيع التجول إلا حول حجرتي، إلى متى سأتحمل ؟؟ لا أعرف

نفس اليوم الثانية مساء

رأسي سوف ينفجر، الموت أرحم بكثير

آه غاليتي لوسي، أطفالي، كل أعزائي

ماذا فعلتُ في حياتي لأستحق كل هذا؟

الاثنين السابع من سبتمبر 1896

لقد وضعتُ في الأصفاد البارحة

لماذا ؟؟ لا أعرف

منذ أن وضعت هنا وأنا أمشي على المسار الذي رسم لي، أتلقى التعليمات وأنفذها بدقة، كيف لا أجن بعد ليلة رهيبة كهذه؟ أستغرب هذه القوة التي يمنحنا إياها الضمير. بريء وواجبي يحتم عليّ أن أتحمل للنهاية ما داموا لم يقتلونني بعد، مادمت حيًّا أرزق، سأكمل واجبي إلى النهاية. أما بالنسبة لآولئك الجلادين، فإنني

أتركهم لضمائرهم عندما يدركون الحقيقة في يوم ما، لأنه عاجلا أم أجلا ستعرف الحقائق

نفس اليوم

كل ما أعانيه رهيب، لكنني غير ساخط، عليهم الرحمة و المغفرة فقط

الثلاثاء الثامن من سبتمبر1896

ليالي في الأصفاد من دون أي تفسير، أجهل تماما لماذا وضعت في الأصفاد ؟ لأي سبب؟ آه! أي كابوس رهيب أعيشه منذ أكثر من عامين!

ختاما، واجبي يقتضي أن أكمل إلى النهاية وهذا ما سأفعله

نفس اليوم الثانية مساء

مشوش بسبب كل الأحداث التي أمر بها منذ عامين، لم أعد قادرا على التحمل، كل شيء داخلي يموت، هذا كثير على أكتاف أدمية، أن أنام داخل قبر! آه! الراحة الأبداية. عزيزي بيير، عزيزتي جان، عزيزتي لوسي، أحبكم من أعماق قلبي، من روحي، لو وصلتكم هذه السطور اعلموا أنني فعلت كل ما ينبغي فعله

الأربعاء التاسع سبتمبر 1896

زارني قائد الجزر البارحة، أخبرني أن هذه التدابير الجديدة لم تتخذ بناء عن عقوبة، لكنها تدابير أمنية لأن الإدارة لا تملك أي شكوى ضدي . الأصفاد تدبير أمني ؟؟ عندما كنت مراقبا على مدار الساعة كحيوان بحارس مسلح بمسدس وبندقية، يجب أن نسمي الأشياء

بمسمياتها، هذا تدبير حاقد بأمر من باريس، من أولئك الذين ....

أشعر أن الادارة المحلية _عدا الحارس المبعوث الخاص من باريس _ ممتعضة من هذه الإجراءات غير الإنسانية، لكنها مجبرة على تنفيذها، لا يمكنها أن تفاوض الإرشادات المفروضة عليها. ختاما، مهما كانت العذابات الجسدية المفروضة عليّ، واجبي وواجب عائلتي يبقى هو هو دائما نفسه: أن يسلط الضوء على هذه القضية، لا يخيفني شيء لأنني لا أطلب سوى الحقيقة

عندما أفكر في كل هذا، لا أشعر بالسخط، فقط الشفقة على أولئك الذين قتلوني بالأمس القريب ليتحضروا للحقيقية

داخلي حزين رأسي تغلي، بصعوبة أستجمع أفكاري

الخميس العاشر من سبتمبر 1896

أختم اليوم هذه اليوميات، متعب، مكسور الخاطر والجسد، أجهل متى ستنفجر رأسي من العذابات، و أتوجه إلى السيد رئيس الجمهورية بهذه العريضة طالبا منه إن أنا مت قبل أن تنتهي هذه المحنة أن تُرْسَل هذه اليوميات إلى زوجتي

❖ ❖ ❖

سيدي رئيس الجمهورية

إنني أسمح لنفسي أن أطلب منكم بأن ترسل يومياتي هذه إلى زوجتي، لقد كتبتها يومًا بيوم . ربما تجدون بعض كلمات السخط ضد هذه الإدانة الشائنة، لستُ لديّ الجرأة لقراءتها مرة ثانية، أن أعيد هذه الرحلة الرهيبة . لن أتهم اليوم أي أحد، كل واحد قام بما يمليه عليه ضميره، أقر ببساطة أنني بريء من هذا الجرم، ولا أطلب إلا شيئا واحدا، أن تبحثوا عن المذنب المقترف الحقيقي لهذه الجريمة . في اليوم الذي ستعرف

فيه الحقيقة أطلب أن تشفقوا على عائلتي، على زوجتي الغالية وأبنائي

ألفرد دريفيس

نهاية يومياتي

VIII

تجيء الأيام بكل الأشياء، عدا السعادة، تشبه بعضها ورتيبة وحزينة، خلال المرحلة الأولى من اعتقالي في جزيرة الشيطان كنتُ أستلم دوريا بعض الكتب التي كانت تأتي من زوجتي، في يوليو 1895 طلبتُ أن أشتري أدوات النجارة لأتمكن من الانشغال، لكن مدير الاصلاحية رفض بدعوى أن هذه الأدوات قد تمكنني من الهرب ، لا يمكن تصورني أهرب من جزيرة أنا محروس فيها على مدار الساعة

في خريف 1896، أصبح النظام القاسي الذي كنتُ أخضع له أكثرَ حدة ، وفي الرابع من سبتمبر 1896 تسلمت ادارة الاصلاحية من السيد أندريه ليبون وزير المستعمرات الأمر بحجزي في حجرتي و بناء جدار يحيط بالحجرة، إضافة إلى ذلك علقت خطاباتي والارساليات، وفقا لهذه التعليمات احتجزت في حجرتي من دون دقيقة تجوال، هذا الاحتجاز المطلق سيستمر طيلة مدة

إحضار الخشب وبناء الجدار، أي ما يقارب شهرين ونصف، كانت الحرارة في تلك السنة قاتلة لدرجة أن الحراس كانوا يضعون الشكوى تلو الأخرى، ويقولون إن رؤوسهم تكاد تنفجر، بناء على هذه الشكاوى كنا نضطر إلى رش الحجرة بالماء مرتين يوميا . أما أنا فقط كنت أذوب بالمعنى الحرفي للكلمة.

إلى الرابع من سبتمبر 1896 لم أكن أدخل حجرتي إلا ليلا. خلال ساعات النهار الحارة جدا، كنتُ أجلس في الظل بمحاذاة غرفتي، قبالة الشاطئ، باستثناء الجولات التي أقوم بها في الجزيرة في مساحة 200م متر المخصصة لي، كنتُ أجلس غالبا قبالة الشاطئ كلما شعرت بالحزن

منذ الرابع من سبتمبر 1896، لا شيء، حُرمت من رؤية المحيط، كنتُ اختنق في غرفتي بلا ضوء أو هواء، فقط جولة بين حاجزين تحت الشمس من دون ظل

في يونيو 1896، عانيتُ من حمى شديدة وعصبية. في ليلة من تلك الليالي التراجيدية، كنتُ أحاول النهوض، فسقطت مغمًى عليّ على الأرضية، حملني الرقيب المناوب مغطى بالدم. في الأيام التالية للحادث، كان بطني يرفض الطعام، كنت محبطا وصحتي متدهورة وكنتُ لاأزال ضعيفا جسديا، عندما اتخذت التدابير غير الإنسانية في سبتمبر 1896 حدث سقوط آخر . في هذه الظروف اعتقدت أنني لن أنجو، فمهما كانت طاقة الإنسان ومهما كانت قواه، فإنه له حدود تجاوزتها أنا

أيضا توقفتُ عن كتابات يومياتي لتسلم لزوجتي، في الحقيقة كل أوراقي ستحتجز بعد أيام قليلة ولم يتبقَّ معي إلا القليل من ألأوراق المرقمة التي أسلمها بمجرد أن أكتب فيها لأتمكن من أخذ أخرى

في الفترة الممتدة من سبتمبر 1986 إلى أغسطس 1897، أصبحت المراقبة المباشرة أكثر تشددا يوما بعد الاخر، كان عدد الحراس في البداية خمسة

بالإضافة إلى الرقيب الرئيسي، ثم أصبحوا ستة ثم عشرة في 1897، ثم ارتفع العدد بعد ذلك . إلى 1896 كنتُ أتسلم الكتب دوريا. وفي تاريخ سبتمبر 1896 حرمت من هذه الإرساليات، أخبروني أنه بإمكاني الحصول على الكتب وذلك بتقديمم طلب لشراء 20 كتابا أدفع ثمنها من مالي الخاص، هكذا طلبتُ أول مجموعة وحصلت عليها بعد عدة أشهر. الثانية التي امتدت لأشهر طوال، ثم الثالثة التي لم تصلني مطلقا . هذه المجموعة تضمنت عددا من المجلات الأدبية والعلمية ، بعض الكتب للقراءة العادية، دراسات في الأدب المعاصرة لشرر، تاريخ الأدب ل لانسون، بعض أعمال بلزاك، مذكرات باراس، مجلدات التاريخ العام من القرن الرابع الى المعاصر، وكل الأعمال الكاملة لشكسبير. لم أفهم يوما الكاتب العظيم شكسبير إلا خلال تلك الفترة التراجيدية، كنتُ أقرأها وأعيد قراءتها (هاملت ..الملك لير...)

أعدت دراسة العلوم من دون أن أحظى بالكتب اللازمة، فاستلزمني الأمر إعادة حساب التكامل والتفاضل

كتبي وفي وقت قصير أصبحت أعشاشا للحشرات لوضع البُيوض . الحشرات كانت تعم غرفتي، حشرات في موسم الأمطار، والنمل على طول السنة، وبأعداد كبيرة. في مرحلة ما، حاولت عزل مائدتي حيت وضعت معلبات مليئة بالبترول على كل رِجل. الماء كان غير كافٍ لأن النمل كان يحيطه، كان يكوِّن سلسلة من ثم يبدأ في التسلق كالجسر تماما

الحشرة الأكثر وحشية كانت العنكبوت كراب ذات العضة السامة التي يشبه جسدها السلطعون بأرجل طويلة وبحجم راحة اليد، قتلت الكثير منها، لكن بلا جدوى، كانت تتسلل من بين السقف والجدران

في أكتوبر كتبت لزوجتي

✤ ✤ ✤

جزيرة صالي، الثالث من أكتوبر 1896

كتبتُ لكِ الشهر الفائت وأفرغت قلبي، قلتُ كل ما أفكر فيه، لا شيء لأضيفه، الآن لا أتمنى إلا شيئا واحدًا، وهو أن تظهر الحقيقة، ما أود قوله أيضا إنه يجب ألا تؤثر اللاعدالة التي ذهبنا ضحيتها على طبيعة قلوبنا، على إنسانيتنا، يجب أن يخرج اسمنا ونحن أنفسنا من هذه المغامرة الفظيعة كما كنا من قبل. أمام هذا المصاب، يجب أن نتحلى بالشجاعة، ليس للشكوى والتأفف و التضجر، بل لتسليط الضوء على هذه الدراما: أن نسقط القناع عن الذي أو الذين كنا ضحيتهم

أكتب لك دائما ومطولا، لا لشيء إلا لأشرح لك أننا أقوياء بضمائرنا الحية، يجب أن نترفع عن كل شيء من دون شكوى.. سنقوم فقط بواجباتنا، إن كان هذا الواجب بالنسبة لي يتلخص في الصبر والاحتمال على قدر المستطاع ، فإنه بالنسبة لك، لكم كلكم، هو تسليط الضوء

على هذا الجرم، لأنني أشك حقا أنه توجد كائنات على هذه الأرض عانت مثلما عانينا

ألفرد



جزيرة صالي الخامس من أكتوبر 1896

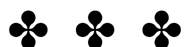
لقد استلمتُ الآن خطاب شهر أغسطس وخطابات العائلة، لازلت متأثرا ليس فقط بالمعاناة التي تستوطننا، لكن أيضا بالألم الذي سببته لك في خطاب السادس من يوليو. آه يا غاليتي لوسي! الانسان كائن ضعيف جدا و أحيانا يكون غبيا وأنانيا، ولقد كنت في تلك اللحظة تحت وطأة الحمى التي تلهب جسدي وعقلي، تحت وطأة عذابات كبيرة . كنت بحاجة إلى يد صديق، إلى وجه ودود، وكنت أنتِ متنفسي الوحيد .

لقد تعافيت، شفيت تماما، عدت كما كنت صامدا إلى آخر نفس. كما أخبرتك في رسالة قبل البارحة، أقوياء بضمائرنا الحية، يجب أن نترفع عن كل شيء بإرادة قوية

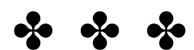
وثابتة إلى أن تظهر براءتي لفرنسا كلها . لا بد أن نستعيد اسمنا، لا بد أن يدخل أطفالنا للحياة برؤوس مرفوعة

صديقيني لوسي، الأشياء لا تأتي ببساطة كما نتخيلها . أتمنى معك أن ينتهي هذا الوضع، أن نعرف نهاية لمحنتنا في القريب مهما كان، يجب أن تكون لدينا هذه القناعة: التخلص من هذا العار الذي لحق باسمنا

ألفرد



الرسالة التي تسلمتها في الخامس من أكتوبر كانت مؤرخة بتاريخ الثالث عشر من أغسطس، وهي الرسالة الوحيدة التي وصلتني من بين كل الخطابات التي كتبتها زوجتي خلال شهر أغسطس، وهذا جزء منها:

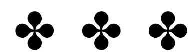


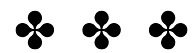
باريس الثالث عشر من أغسطس 1896

لقد تسلمت الآن خطاب السادس من يونيو، أكتب لك بعيون متورمة بالدموع بعد أن استلمت الآن خطابك المؤرخ بتاريخ السادس من يوليو، زوجي المسكين ما هذه المحنة التي تحتملها

هذا فظيع، غاية في الفظاعة، هذا فقط ما يدور في رأسي

لوسي





باريس العاشر من اكتوبر 1896

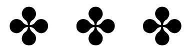
عزيزي ألفرد

....هذا الانتظار الذي يجر أثقاله ..لا أنباء عنك منذ التاسع من أغسطس، أي منذ شهرين ونصف، أسابيع

طويلة من القلق التي تمر بين بريد وآخر، كل تأخير يشعرني بالقلق........

لوسي





جزيرة صالي، الرابع من يناير 1897

لقد استلمت رسائل شهر نوفمبر وأيضا رسائل العائلة، شعوري كما دوما أنه لا يوصف. أنت حبيبتي لوسي لا أفكر إلا فيك، في الأطفال، فيكم كلكم. حتى عندما تشتد محنتي ويعجز قلبي ويصبح فعل الحياة أكثر مما أستطيع أردد داخلي دائما نفس الكلمات: "رهيب ما تعانيه، أكمل لتموت بسلام، لتترك لأبنائك اسما محترما وشريفا". قلبي تعرفينه، إنه ثابث، إنه قلب ضابط لا يعبأ بالآلام، يعتبر الشرف فوق كل شيء

أكتب لك، أحاول أن أشرح لك لماذا ثقتي مطلقة في البعض أكثر من الأخر، لأنه و صدقيني العريضة التي تقدمت بها باسم طفلينا لن يسطيع التملص منه أناس نبلاء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أدرك المشاعر التي تدفعكم للبحث عن الحقيقة دون تهاون....

بيد أن ليس بمقدورك أن تختزلي محنتي، الحكومة وحدها تمتلك الامكانيات لفعل ذلك، إذا كانت لا تريد أن يحظى مواطن فرنسي بحقه، مواطن لا يطلب من وطنه سوى العدالة الحقيقة الكاملة، إنسان جل ما يتمناه أن يسترد شرفه ..

ألفرد

أجزاء من خطابات زوجتي

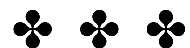
✤ ✤ ✤

باريس الثاني عشر من نوفمبر 1896

سعيدة بهذا الشعور اللذيذ الذي تتركه خطاباتك داخلي، أرجوك لا تفكر مطلقا في متاعبي ومعاناتي،

أخبرتك أن سابقا شخصيتي ثانوية في هذه الدراما وسأكون غاية في الحزن اذا أضفت شيئا إلى عذاباتك ، لا تشغل نفسك بي، أنت محتاج لكل قواك، لشجاعتك، لتصمد أمام هذه المحنة القاسية

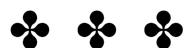
لوسي



باريس الرابع والعشرون من نوفمبر 1895

أرغب بالحديث معك يوميا، لكن لماذا؟ ما دمنا سنعيد نفس الأشياء، أعرف أن خطاباتي متشابهة، أنها جميعها بنفس الفكرة، الفكرة الوحيدة التي تشغلنا تلك التي تتعلق بحياتنا وحياة أطفالنا ومستقبل عائلة بأكملها، مثلك، أنا لا أهتم إلا بشيء واحد، فلا هدف لي سوى استعادة شرفك، وعدا هذه الفكرة، لا شيء يهمني

لوسي



باريس الخامس والعشرون من ديسمبر 1896

أتمنى أن أستلم هذا الشهر أيضا خطاباتك، لكنني لم يصلني شيء

فقرأت خطابات شهر أكتوبر، أعدت قراءتها

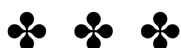
لوسي



باريس الخامس والعشرون من ديسمبر1896

مرة أخرى سأرسل البريد مع شعور بالحزن أنه لا يحمل لكَ أخبارا جيدة، الأخبار التي ننتظرها، أعرف أنه بالنسبة لك تعد خيبة أخرى، تمديدًا لمعاناتك، لهذا أنا أسفة ... صديقي المسكين لدي خوف كبير وقلبي منقبض من فكرة أن نعجز عن بلوغ هدفنا

لوسي



في مارس 1897 جعلوني أنتظر إلى الثامن والعشرين من الشهر لأتسلم رسائل يناير، لأول مرة تصلني الخطابات منسوخة، إلى أي مدى يمكن أن يمثل نص مكتوب بيد تافهة نصًّا أصليًّا ؟؟؟ لقد شعرت بهذا التغير، لقد جرحت أعمق أعماقي، لكن لا شيء سيثني عزيمتي

كتبت لزوجتي

❖ ❖ ❖

جزيرة صالي، الثامن والعشرون من مارس1896

بعد انتظار طويل، حصلتُ على نسختين عن خطابتك لشهر يناير تشكين من أنني لا أكتب لكِ ، لقد كتبتُ لكِ الكثير من الخطابات نهاية يناير، ربما وصلتْكِ الآن. المشاعر التي في قلبينا التي تجمع روحينا ندركها جيدا، لقد تعبنا نحن الاثنان، كلنا في الحقيقة متعبون

تطلبين أيضا، غاليتي لوسي، أن أحدثك عني، لا أستطيع للأسف، لأنه عندما نعاني لهذه الدرجة، عندما

نتحمل مأساة مشابهة لتلك التي مررت بها، يستحيل أن نعرف اليوم ما يخبئه لنا الغد

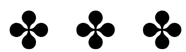
اغفري لي حبيبتي لأنني كنت أشاطرك معاناتي، أنت المتعبة للغاية، اغفري لي لأنني كنت وحيدا وكنت_ أنت_ متنفسي. اليوم كالأمس، بعد كل الشكاوي والتضجر، الحياة لا شيء. يجب أن تتجاوزي كل آلامك مهما كانت، كروح نقية لها واجب مقدس ، كوني قوية وشجاعة، حدقي في الأفق بعيون تابثة نحو هدفك، لا يمين و لا يسار. نعم أدرك أنك مجرد إنسان ضعيف

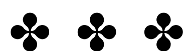
مهما بلغت معاناتك في المستقبل، ومهما كانت كبيرة، أنظري إلى ولدينا، ثم قولي إنه يتوجب أن تعيشي، أن تكوني هنا إلى اليوم الذي سيعرف الوطن من أنا حقا

الشيء الذي أريد أن أكرره: تحلي بالشجاعة والصبر والإرادة، يجب ألا نتهاون إلى أن تُعرف الحقيقة كاملة

الشيء الذي لا تحمله خطاباتي هو المشاعر التي في قلبي نحوك ونحو الأولاد، لكن اعلمي أنني أستمد قوتي من هذا الحب

ألفرد





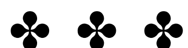
باريس الأول من يناير 1897

اليوم يوم خاص، محتاجة أن أكون معك، قريبة منك، يوم تعيس آخر لأنه يذكرني بأشياء سعيدة أراها الآن بعيدة المنال ، أريد أن أمضيه معك، أحدثك، فربما يبدو أقصر، أنتظر بشغف ذلك اليوم الذي نعيش فيه بسلام، اليوم الذي أستطيع فيه أن أرد لك شرفك، أن أضمك بين ذراعي، أتمنى أن تتحقق أمانيّ هذه السنة

في هذا الانتظار الدائم الذي أعيشه، خطاباتك هي الوحيدة التي تمنحني نشوة الفرح، تبدد عتمتي،

شيء منك، جزء من أفكارك، تحمل بعض العزاء بعد شهر طويل

لوسي



باريس 20 فبراير1897

سعيدة برغم أنني لم أستلم سوى نسخة عن خطابك، خطك كان متعتي، أعتقد أنني كنت أقبض على بعضك، هذه النسخ تحرمك الخصوصية، هذا هو الشعور الذي يرافق رسالة مكتوبة بيد أخرى، وهذا شيء من الأشياء البشعة التي نتعرض لها

لوسي



جزيرة صالي الرابع من مايو 1897

لقد استلمت بريدك لشهر مارس وأيضا بريد العائلة بالكثير من التأثر، قرأتك بكثير من الألم، قرأتكم كلكم. آه

كم قلوبنا مجروحة وممزقة. أنا لا أريد أن أعرف ولا أن أبحث أو أفهم لماذا جعلوني أتحمل هذه المأساة ، لقد تمكنت من الترفع عن كل هذا بقوة إيماني ووعيي بحجم المسؤولية، أخنق قلبي، أخمد ثورتي، هذا لا يعني أن فؤادي لا ينوء تحت ضربات القدر، إنه في حالة يرثى لها. لقد قلت لك أيضا إنه أبدا لن يتسلل اليأس لقلبي وإنه يجب ألا يسكن قلبك، قلوبكم كلكم

نعم إنه من الفظيع أن نعاني، كل هذا رهيب. مهما كانت معاناتك، يجب الاقتناع أنه هناك واجب مقدس، هذا الواجب الذي يتعلق باستعادة اسمنا كاملا، أن نبيد العار الذي لحقنا. أعتقد أنه ما من داعٍ لأخبرك عما في قلبي بخصوصك ، بخصوص أطفالنا، بخصوص الكل، إنه بلا معنى، ألا تعتقدين ذلك؟ صدقيني أنه في لحظات السعادة لا نشعر بعمق العطف الكامن في قلوبنا تجاه الذين نحبهم، لا بد من القليل من الحزن، من المعاناة، لنعي ذلك. لا تتصورين كم مرة كنت أستعيد صوركم في رأسي لأحيا، لأتقبل كل الأشياء التي لم أتوقع يوما أنني سأقبلها

قومي فقط بواجباتك عزيزتي ببطولة كأي أم تريد استرداد اسمها والاسم الذي يحمله أبناؤها

لك ولكم وكما دائما

تحلي بالشجاعة

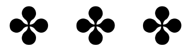
ألفرد



باريس الخامس من مارس 1897

الانتظار الذي يقتص من صبري، كنت أرغب بأن أنتظر وصول بريدك لأعقب على رسائلك، لكن طال غيابك، وما من شيء أرغب به أكثر من الكتابة لك. عندما أفعل يحملني الخيال إلى حيث أريد أن أكون، أن أواسيك، أن أضمك إلى قلبي....

لوسي



باريس، السادس عشر من مارس 1897

وينتصر القلق كالمعتاد، لقد كتبت لك قبل أيام، اليوم استلمت خطاباتك، أسعد لحظاتي تلك التي أقرأك فيها وأعيد قراءتك، وأدخل لرأسك، إنها اللحظات الوحيدة التي يمكنني فيها أن أعيش معك. الشهر الماضي لم أسعد بخطك، كانت الخطابات مجرد نسخة، ولك أن تتخيل حالتي لأني حرمت عزائي الوحيد، وهو خطك، إنها أشياء صغيرة يمكننا أن نتجاوزها بصمت أمام هدفنا الكبير

مادمنا مجبرين، يجب ألا نتوقف عندها، ونحن للأسف مجبرون على الالتزام بواجبنا المقدس، ألا وهو احترام اسمنا والاسم الذي يحمله أولادنا لنترفع عن.........

لوسي



في يونيو من سنة 1987، رفعت حالة التأهب، كان من الممكن أن تكون لها عواقب تراجيدية، التعليمات الجديدة كانت تنص على أنه في أي محاولة للهرب، سواء أكانت من طرفي أم من الخارج، سيتم قتلي ويجب على المشرف أن يحسم الأمر بمنع هروبي أو اختطافي ....

مع هذه التعليمات المتطرفة، كانت الاندارات خطيرة بالنسبة للإدارة، وكانت هذه الارشادات مشينة لأنني غير مسؤول عن أي محاولة هروب آتية من الخارج لو حدثت بالفعل

في السادس من يونيو 1897، في حوالي التاسعة مساءً تم إطلاق صاروخ في سماء جزيرة رويال، يقولون إنه كان في الخليج بين جزيرة القديس جوزيف وجزيرة الشيطان. أمر قائدُ الاصلاحية باطلاق الرصاص واتخاذ وضع الدفاع، هو نفسه جاء لتعزيز القوة مع موظفيين إضافيين، كنت نائما في حجرتي مع الرقيب المناوب ككل

ليلة، ثم استيقظت عل صوت الرصاص ورأيت الرقيب بسلاحه الجاهز يحدق فيّ، وكنت أتساءل: ماذا يحدث؟

الرقيب لم يرد، لكن بما أنني غير مهتم بما يدور حولي وهدفي الأساسي هو شرفي عدت لسريري وفكري مشغول بهدف واحد، ألا وهو شرفي......



في العاشر من أغسطس 1897 كتبت لزوجتي

لقد استلمت الآن رسائلك الثلاث لشهر يونيو وكل خطابات العائلة. لازلت منفعلا، إنها تحرك داخلي الكثير من الذكريات الجميلة، وكذلك ذكريات المعاناة، لدرجة أنني أود التعقيب عليها الآن . سأخبرك مرة أخرى عن حبي العميق والكبير، أفتح لك صدري وأقول لك: واجبك هو حقك الذي يجب ألا تتنازلي عنه حتى أمام الموت، هذا الحق وهذا الواجب بالنسبة لوطني، كما بالنسبة لي، هو في تلسيط الضوء على هذه المأساة الرهيبة بلا أدنى

ضعف، هو الرغبة في أن يُغسل هذا العار الذي لحق باسمنا واسم طفلينا

هذا الهدف يجب أن تدركيه كمواطنة فرنسية، مهما بلغت معاناتها لا تنسى واجبها نحو وطنها.

أن تكوني شريفة ليس فقط أن تكوني عاجزة عن سرقة مائة سنت من جيب جارك، أن تكوني شريفة، حسب اعتقادي، يعني أن تكوني قادرة على رؤية ذاتك في مرآة لا تَنْسى، مرآة ترى كل شيء وتعرف كل شيء، هذه المرآة هي ضميرك الحي.

غاليتي لوسي، قومي بواجبك ....أعرف أن المشاعر نفسها نتقاسمها كلنا، عائلتك وعائلتي. أن أتكلم عن الأولاد شيء لا أستطيعه، أعرفك جيدا، لا أشك في طريقة تربيتك لهم، لا تتركيهم أبدا، كوني دائما بقربهم، اسمعيهم دائما مهما كانت أسئلتهم، تربية الأطفال لا تتعلق فقط بالاحتياجات المادية والفكرية، ولكن بالثقة......

ألفرد



بعد بناء الجدار حول حجرتي، لم تعد الحجرة صالحة للعيش فيها، إنها الموت ذاته. منذ تلك اللحظة، لا هواء ولا ضوء، فقط الحرارة القاتلة والخانقة في الفصل الجاف والرطوبة في موسم الأمطار في هذا البلد حيث الرطوبة أوَّلُ همٍّ للأوروبي، كنت متعبا للغاية، ليس فقط بسبب عدم ممارسة التمارين الرياضية، بل بسبب الطقس أيضا، وبأمر من الطبيب تم بناء حجرة جديدة. وفي أغسطس 1897 تم هدم الجدار القديم ليضاف إلى الحجرة الجديدة، و احتجزت من جديد

IX

في الخامس والعشرين من أغسطس، نُقلت إلى الحجرة الجديدة وقد بُنيت على رابية بين الجدار والبناية القديمة، هذه الحجرة كانت مقسمة إلى نصفين يفصل بينها سياج من الحديد الصلب: جهة مخصصة لي أنا، والجهة الأخرى مخصصة للرقيب لأكون تحت نظره. نوافذ بعيدة جدا مسيجة لا أستطيع الوصول إليها، وتسمح فقط بدخول الهواء والضوء. بعد ذلك أضيف للقضبان الحديدية سياج مشدود بأسلاك حديدية، مما حبس الهواء أكثر وحرمني من الوصول إلى النوافذ. لم أتمكن من التنفس، كنت مخنوقا. مهما يكن، كانت هذه الحجرة أكثر ارتفاعا وأكبر وأفضل من القديمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الجدار أبعد عن الحجرة، لكني كنت أعاني الرطوبة في فصل الشتاء وتسرب المياه في الأيام الماطرة. بالنسبة للحشرات، كانت كثيرة، أكثر من الحجرة الأولى. كانت هناك مضايقات أيضا خلال هذه الفترة، فمعاملتي كانت مرتبطة بالأجواء في فرنسا، وهو الشيء الذي كنت أجهله تماما، تدابير جديدة

اتخذت لعزلي أكثر من أي وقت مضى ، كنت أتعالى عن ذلك، عدد من الفخاخ كانت تنصب للإيقاع بي: أسئلة المشرفين في الليالي العصبية، وحتى عندما كنت فريسة للكوابيس كان الرقيب يقترب ليسمع خطرفاتي الليلية ويسجلها. خلال هذه الفترة، بدلا من أن يقوم قائد الاصلاحية دانيال بواجباته لعب دور الواشي، هذه بعض الارشادات العامة المنشورة في حجرتي

البند 22

السجين مسؤول عن نظافة حجرته وأيضا عن تحضير طعامه

البند 23

يحصل السجين على الحصة المخصصة له ويرخص له أن يحّسنها في إطار المعقول الذي تحدده الإدارة

الأشياء المختلفة المرسلة للسجين لا تسلم له إلا بعد المراقبة وعلى حسب احتياجاته اليومية

البند 24

كل الخطابات المحررة يجب أن تسلم للرقيب

البند 26

الطلبات أو الشكاوى يجب أن تسلم للمشرف

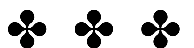
البند 27

نهارا تكون أبواب الغرفة مفتوحة إلى حدود الليل وله الحق في التجوال..

المحادثات محظورة

أدركت خلال هذه المرحلة أن المراقبين تلقوا أوامر برصد حركاتي وانفعالاتي، والأخطر أن كل هذه الحركات والانفعالات الصادرة عني كانت تفسر من طرف دانيل بشكل عدائي، وهو شخص مغرور وغير متزن، كان يهتم بأبسط الحوادث التافهة ويميل إلى تضخيم الأمور، وأدنى سحابة دخان يمكنها أن تحمل تدابير واحتياطات جديدة

لا يوجد أسوأ ولا أبشع، خلال السنوات الخمس التي قضيتها، من وجود عينين تتربصان بي في كل لحظة وفي كل الظروف دون أي لحظة راحة



في الرابع من سبتمبر 1897 كتبت لزوجتي

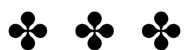
غاليتي لوسي

لقد استلمت بريد شهر يوليو، لقد أخبرتني أن أكون على ثقة في ظهور الحقيقة، هذه الثقة متجذرة في روحي، إنها قناعة شعوري كإنسان له الحق والرغبة في الحقيقة . مادمتُ قادرا على العيش في هذه الظروف غير الإنسانية وغير المستحقة، سأستمر بالكتابة لك لتدركي صلابة إرادتي. إلى جانب ذلك، خطاباتي الأخيرة كانت أشبه بالوصية، أخبرتك عن حبي، أعترفت لك بتعبي الجسدي والعصبي ونبهتك ألا تتهاوني في واجبك

هذه الشهامة التي أظهرناها جميعًا ليست ضعفا، إنها الرغبية التي تكبر يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة

في اكتشاف الحقيقة، الحقيقة كاملة لكل فرنسا.... نعم أدرك أن الجروح أحيانا تكون عميقة، وأن القلب ينتفض أحيانا ويثور.............. بالنسبة لك يجب أن تقومي بواجبك، ألا وهو الحصول على حقك، الحق في العدالة والحقيقة، نعم يجب أن يسلط الضوء على القضية .. أتمنى فقط أن تنتهي محنتنتنا .... من غير المجدي أن أتكلم لك عني وعن كل الأشياء الصغيرة، أعلم أنني أفعل أحيانا رغما عني ...

ألفرد



باريس الخامس عشر من يوليو 1897

ستكون متفاجئا بخطاب الأول من يوليو، المستقبل يبدو لي أقل سوداوية الآن، لقد خطونا خطوة كبيرة تجاه الحقيقة، للأسف لا أستطيع إخبارك بها

لوسي



باريس الخامس عشر من1897

أنا جد قلقة لأني أجهل أخبارك، منذ سبعة أسابيع طويلة لم تصلني خطاباتك، أتمنى أن يكون الأمر مجرد تأخر عادي وأنني سأستلم منك خطابات عما قريب، سأقرأ سطورك بسعادة، في انتظار الأفضل، في انتظار أن نجتمع مجددا، أن أسعد بالعيش معك. حاول ألا تفكر أو تستعمل رأسك أو تتعب نفسك بلا جدوى إلا بالتفكير في هدف واحد

ختاما استرخ وأرح رأسك المسكينة التي تغلي من الكثير من الأشياء

لوسي

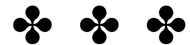


في نوفمبر

باريس الأول من سبتمبر 1897

بكل سرور، أؤكد لك الأنباء السعيدة التي أخبرتك عنها الشهر الفائت، أنا غاية في السعادة، إننا على الطريق الصحيح، لا أستطيع أن أقول لك سوى ثق بي أرجوك

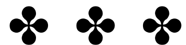
لوسي



باريس الخامس و العشرون من سبتمبر1897

سأضيف كلمة واحدة لخطاباتي الطويلة لهذا الشهر، أنا سعيدة لأن رسائلي زودتك بأمل كبير والقوة الازمة لتستمر ..لا أستطيع أن أخبرك أكثر

لوسي



الرابع من نوفمبر 1897

لقد استلمت الآن خطاباتك، عاجز عن التعبير لك عن الشعور الذي انتابني وأنا ألمح خطك، هذا الشعور هو الذي يمنحني القوة لانتظار اليوم الذي ستظهرفيه الحقيقة، خطاباتك منحتني الثقة لأحتمل لأجلك ولأجل ولدينا، توصيني بألا أفكر، ألا أحاول أن أفهم، هذا مستحيل! كيف لا أفكر؟ كل ما أستطيعه هو الانتظار، انتظار يوم الحقيقة

في هذه الأشهر الأخيرة، كتبت لك رسائل طويلة، ارتحت نسبيا، منذ ثلاث سنوات وأنا أرى نفسي مجرد لعبة في أحداث غريبة عني

لا أخرج عن طبعي المعتاد، سلوك الجندي الذي فرضته على نفسي، حتى وإن أعطبتني المعاناة، أقسمت أن ألتزم الصمت، أن أطبق عينيّ

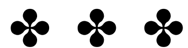
وضع لا يحتمل، الجو وحده رهيب، كل هذه الأشياء التي لا تطاق لم تنسِني واجبي، لكن أعصابي جد

متعبة. أثرثر معك رغم أنه ليس لديّ ما أخبرك به، لكنني أشعر بالراحة، أريح أعصابي وقلبي، وأتسائل ما الذي فعلته على هذه الأرض ليستحق أولئك الذين أحبهم جدا هذا المصير؟......

هل أخبرك عن مشاعري؟ أعتقد أنه بلا جدوى، لأنك تعرفينها، لكن ما أود قوله إنني في ذلك اليوم قرأت كل رسائلك لأبدد بعض الوقت بقرب قلبك. إذا كانت المأساة هي التي تظهر لك معدن الناس، فإنك حبيبتي من ذهب

ألفرد

انتهى شهر نوفمبر ثم ديسمبر 1897 من دون خطابات. أخيرا في التاسع من يناير 1898، بعد انتظار طويل، استلمت كل رسائل زوجتي لشهر أكتوبر ونوفمبر



باريس السادس من أكتوبر

ثقتي مطلقة وكبيرة في عودة سعادتنا، أريد أن أخبرك عن فرحتي وأنا ألمح الأفق أمامنا، وأنا ألمح نهاية معاناتنا الوشيكة، أشعر أنني بخير وأريد أن أشاطرك مشاعري. لو علمت بالتقدم والطريق المعتم الطويل الذي قطعناه لنصل إلى نهاية النفق ستشعر بالراحة، يحز في قلبي أن أعجز عن إخبارك

أنت يا صديقي المسكين تعيش على الانتظار المقلق والتعتيم المطلق حول القضية، حتى تلك الجمل والكلمات التي تجمعها غير كافية

لوسي



باريس، السابع عشر من نوفمبر 1897

يؤرقني الانتظار، لم أستلم أي خطاب منك، آخر رسالة كانت بتاريخ الرابع من سبتمبر، وصلتني في أوائل أكتوبر، بعدها لا شيء، لست معتادة على الشكوى، لكن الله أعلم أنني أعاني: أن أبقى أسابيع وأسابيع في قلق بسبب غياب خطاباتك، يوما بعد آخر أفكر أنني سأنتهي من هذه العذابات. آه! لو أمكنني أن أكتب لك بصدر مفتوح

أتمنى أنه عندما تصلك رسائلي تكون قد علمت بالخبر السعيد الذي تنتظره منذ سنوات ثلاث....

لوسي



عندما استلمت هذه الخطابات في يناير 1898، في جزيرة الشيطان، بعد طول انتظار، تضاعفت المضايقات، الرقابة أصبحت أكثر حدة، ارتفع عدد المشرفين من عشر مشرفين ورقيب إلى ثلاثة عشر مشرفًا ورقيبٍ حول

غرفتي، في هذه الفترة أيضا تم بناء برج يرتفع عن حجرة المراقبين، وتم تنصيب مدفع فوقه لحماية الجزيرة

أيضا، عمدت إلى تجديد طلباتي لكل من رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة

في الأيام الأولى من شهر فبراير 1898، استلمت خطابين من زوجتي مؤرخين بتاريخ الرابع من ديسمبر 1897 و26 ديسمبر 1897، كانا عبارة عن أجزاء منسوخة من خطابات زوجتي

علمت من زوجتي وبشكل خفي من خلال خطاباتها التي أرسلتها في أغسطس وسبتمبر 1897 أن شخصية هامة من السينيا أخذت قضيتي

جزء من الخطاب الذي استلمته في الرابع من سبتمبر 1897 كان نوعا ما حزينا



عزيزي ألفرد

استلمت منك خطابين، شعرت بحزنك حتى من دون أن تطلعني عليه، هذه الخطابات تشبه سابقاتها الأخريات

أعرف أنه مرت أيام منذ أن كتبت هذه الرسائل وسوف يمر وقت طويل قبل أن تصلك سطوري هذه، لتذكرك أن جزءا مني هناك معك وأنني مستعدة أن أضحي بحياتي.. لو تدرك حزني لأني عاجزة أن أكون قربك سأقبل حياة صعبة وحياة المنفى لأكون معك

لكن قدر لنا أن نشرب من كأس الحزن إلى آخر قطرة

لوسي



جزيرة صالي السابع من فبراير 1898

فؤادي مفطور من هذه العذابات غير المستحقة، مجرد التفكير فيك وفي الأطفال يشعرني بالحزن ويدفعني أكثر لاسترداد شرفنا وحياة طفلينا

.. منذ ثلاثة أشهر وأنا أراسل رئيس الدولة والحكومة والذين تسببوا في سجني لأحصل على العدالة، على نهاية تليق بتضحيتنا

أكرر اليوم طلباتي لرئيس الدولة وللحكومة لأنه يجب ألا تتحملي تضحية كهذه، ولدانا يجب ألا يكبرا بلا شرف على جرم أنا لم أرتكبه....

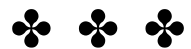
ألفرد

✤ ✤ ✤

الخطابات التي كنت أبعث بها إلى الحكومة لم تصل قط إلى وجهتها، كانت تبقى أسيرة درج مكتب السيد ميلاني رئيس الحكومة

في مارس، استلمت رسائل زوجتي المؤرخة في الأول من يناير، خطابات أمل، دون توضيح على ماذا يستند هذا الأمل. ثم في أبريل صمت عميق، الخطابات التي كتبتها لوسي في يناير و فبراير لم تصلني قط

حتى الخطابات التي أرسلتها أنا خلال هذه المدة لم تصل إليها ولا نملك إلا بعض الأجزاء المنسوخة، هذه بعض الأجزاء منها



باريس، السادس من مارس 1898

أرغب بالحديث معك، قد يبدو ما أقوله تافها وغبيا ومخيبا للأمال أحيانا، قلبي عامر بالأسى وعاجزة عن تمالك نفسي، أختنق من الحزن من هذا الغياب الثقيل، أمد ذراعي نحوك لألامسك، أتخيل أنني معك، قربك، أهمس لك، أشجعك، ثم أفيق على صوت أحد الأطفال أو صوت خارجي يحملني إلى واقعي الحزين، الأحلام جميلة، كما

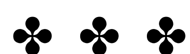
هي دوما. كم أنت تعيس لأنك بلا أنباء عنا، تذكر دوما، حتى وإن لم تصلك خطاباتي، أنني أفكر بك، لا تغادرني .

لوسي



باريس، السابع من مارس1898

لقد استلمت خطابك المؤرخ بالخامس من مارس، أنباء جديدة نسبيا، نحن الذين اعتدنا البريد غير المنتظم. أوه كيف أن الأحزان تغير الناس ؟ كيف نقبل بأشياء أعتقدنا أنه يستحيل علينا تحملها ؟..



الخامس والعشرون من يوليو 1898

عندما أشعر بالحزن وتثقلني الحياة، أدير ظهري للحاضر وأعيش في الماضي ....

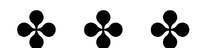
لوسي



منذ هذه اللحظة، بدأت تصلني خطابات مكتوبة بخط زوجتي، كانت الأيام تمر رتيبة، لا أفهم ما يدور حولي، الطلبات التي وجهتها إلى رئيس الدولة تأتي بنفس الجواب (طلباتك وجهت إلى أعضاء الحكومة)، ثم لا شيء، كنت أنتظر وأنتظر، على أمل أن أعرف الوجهة النهائية لطلباتي، كنت أجهل تماما القانون، خاصة ذلك المتعلق بالاستئناف الصادر سنة 1895يعني في الفترة التي بدأ فيها سجني

في هذه الأثناء، كنت أطالب باستمرار بمعلومات عن وجهة طلبات الاستئناف التي أرسلتها، الرد كان دائما يأتي كاللغز الصمت التام. كنت أجهل الأحداث التي تدور في فرنسا، في النهاية وللضغط أكثر لأحصل على جواب وافٍ، هددت بوقف مراسلاتي في انتظار الرد على طلب الاستئناف. هذه الأخبار نقلت بسرعة إلى زوجتي وبشكل محرف. في أكتوبر استلمت بريد أغسطس من

زوجتي يحمل دائما نفس الأمل، جددت طلبي بأن أتوصل برد على طلبات الاستئناف التي وجهتها، كنت أجهل أنه في هذه الأثناء تم قبول طلبي بالاستئناف، وأنها حولت إلى محكمة النقض وبدأت الجلسات، ختاما قيل لي إنني سأحصل على جواب نهائي على طلباتي



جزيرة صالي

السابع و العشرون من أكتوبر 1898

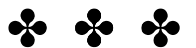
بعض الكلمات إلى قلبك ... لقد علمت أنني سأتلقى الرد النهائي على كل طلبات الاستئناف، أنتظر بهدوء وثقة، ولا أشك أن الرد سيكون ايجابيا ...

ألفرد



أيام قلائل، بعدها، أي في أوائل شهر نوفمبر، استلمت بريد زوجتي لشهر سبتمبر تخبرني فيه أن أحداثا

مهمة - وسأعرفها فيما بعد – تتعلق بالموافقة على الاستئناف



جزيرة صالي الخامس من نوفمبر

لقد استلمت خطاباتك لشهر سبتمبر التي تحمل أنباء سعيدة، في خطابي ل 27 أكتوبر، أخبرتك أنني عرفت بنبأ الرد النهائي على طلب الاستئناف وقلت لك إنني أنتظر بثقة

ألفرد

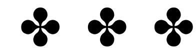


في السادس عشر من نوفمبر 1898 وصلني تيلغراف مضمونه أن طلب الاستئناف تم قبوله شكليا من طرف محكمة النقض وأن الجلسات سوف تفتح من جديد وأنه علي أن أتواصل مع الدفاع، أبديت رغبتي بأن يتولى السيد ديمونج القضية، كنت أجهل كل ما يدور حول

القضية، كنت لأزال على البوردورو، الورقة الوحيدة، وليس لدي ما أضيفه على ما سبق وقلته أمام مجلس الدفاع

في الثامن والعشرين من نوفمبر 1898، سمح لي بالتجوال من الساعة السابعة صباحا إلى الحادية عشر منه، ثم من الثانية بعد الزوال إلى الخامسة مساء. في الحقيقة الجولة كانت عبارة عن شيء يشبة البهو، بمساحة تبلغ 0.8 تحت أشعة الشمس، لكنني على الأقل كنت ألمح البحر الذي حرمت منه منذ عامين، على الأقل ألمح أشياء أخرى عدا الجدران

خلال شهرديسمبر، لم تصلني أي رسائل من زوجتي، نفد صبري، كنت أطلب معلومات وتفسيرات عن بدء الجلسات، كنت أجهل أن هذه الجلسات قد تمت في 28 و 29 و 30 من أكتوبر المنصرم



جزيرة صالي، 26 ديمسمبر 1898

لم أستلم أي خطاب منك مند ما يقارب شهرين، لقد وصلني قبل أيام خطاب بتاريخ 22 نوفمبر، لقد أوقفت حاليا المراسلات لأنني كنت بانتظار الرد على الاستئناف، هذا من جهة ومن جهة أخرى، في كل الخطابات صرت أكرر نفسي.

إذا توقف صوتي، فاعلمي أنه قد أخرس للأبد لأنني عشت من أجل شرفي وأبنائي، عشت لأقوم بواجبي كما أنا دوما...

ألفرد



ارتحت كثيرا بعد كل المستجدات التي تلقيتها الأشهر الأخيرة، لم أفقد الأمل أبدا في المستقبل، كنت مقتنعا منذ اليوم الأول أن الحقيقية ستبزغ في يوم ما، يستحيل أن تبقى جريمة دون عقاب. لكن الجهل والتعتيم والوضع المزري الذي عشته، ثم الكفاح المستمر ضد الطبيعة، ضد

الطقس، كلها أشياء جعلتني أشك في نهاية قريبة لهذه المأساة. إرادتي ثابتة، لكنني كنت أمر بلحظات ضعف إزاء زوجتي وأبنائي، أفكر في الحالة التي هم فيها. أخيرا سنشهد نهاية لمأساتنا، أعتقد أن قلبي خف وأنني أتنفس بحرية الآن

في أواخر ديسمبر، استلمت التقديم التمهيدي ليوم الخامس عشر من أكتوبر 1898 من النائب العام لمحكمة الاستئناف، قرأته بدهشة، علمت بالاتهام الموجه من أخي إلى الكوموندو استرهازي الذي أجهله تماما.. إعفائه.. اعتراف وانتحار القائد هنري... عرفت كل هذه الأشياء، لكنني كنت أجهل التسلسل المنطقي للأمور.

في الخامس من يناير 1899، تم التحقيق معي من طرف لجنة قضائية في محكمة الاستئناف في كايين، فوجئت وكانت دهشتي كبيرة عندما أدركت لأول مرة وجود اعترافات لي مشوهة نسبت لي يوم التجريد من الرتبة، برغم أنها كانت مجرد اعتراضات من شخص بريئ

مرت الأيام والأشهر دون أي أخبار عن تحقيق المحكمة، في كل شهر كانت زوجتي تنبئني بقرب انتهاء مأساتي، هذه النهاية التي لا أراها أنا.

في أواخر فبراير، طلبت، كما العادة، مستلزمات العيش والمواد الغذائية للشهر القادم، لم أستلم أي شيء، كنت قد أخذت على عاتقي ألا أكرر الطلب. في نهاية الشهر، أخبرني دانيال أنه فقد طلبي وأنه يجب أن أعيد ملء استمارة الطلب. أعتقد أنه لو كان بالفعل فقده لكان تدارك الأمر لحظة و صول قارب المؤن، هذا الحدث توافق مع القانون الجديد للتجريد

بالنسبة لي، هذا الجهل بالقانون جعلني أعجز عن فهم طول التحقيقات وتعقيداتها، في حين أنها كانت تبدو سهلة جدا، لأنني لا أعرف عن القضية إلا البوردورو، كنت أطلب في عدة مرات معلومات عن سير الأمور، لكن لم أحظَ قط بأي جواب. كنت أنتظر يوما بعد يوم في

كل ساعة رد المحكمة العليا، تعبت جسديا وعصبيا من هذا الانتظار المقلق

X

الاثنين الخامس من يونيو 1899، في الثانية عشر والنصف، سلمني المشرف هذه الملاحظة

المرجو إبلاغ الكابتن دريفيس أن المحكمة ألغت الحكم الصادر يوم 22 ديسمبر1894 ضد ألفرد دريفيس عن مجلس الدفاع العسكري في باريس ويُرَحَّل المتهم إلى مجلس الدفاع رين ....الخ..الخ)

(عليه يختم ويسجل في سجلات مجلس الدفاع العسكري بباريس على هامش قرار الإلغاء، وعليه فإن الكابتن دريفيس لا يخضع لنظام المرحلين، ولا يعتبر متهما ويعاد إلى رتبته ويلبس زيه الرسمي)

-(سفاكس يتجه اليوم من فرنسا إلى جزيرة الشيطان لإحضار المتهم)

سعادتي كانت كبيرة، فكرت أنني نجوت أخيرا من هذا العذاب الذي كنت ضحيته. فجر الحقيقة قد بزغ

أخيرا . ظننت أن كل شيء انتهى ولم تيتبقّ إلا بعض الجزئيات الشكلية

قصتي أجهل كل تفاصيلها، لا أعرف منها سوى البوردورو، الورقة الوحيدة في الملف، توقفت عند المحاكمة، و صراخ الحشد، ثم التجريد من الرتبة، كنت أؤمن بولاء الجنرال بوديفر، آمنت برئيس الدولة فليكس فور، ثم بعدها لا شيء، العتمة المطلقة، علمت بعد ذلك أن عدة شخصيات ساهمت في تسليط الضوء على هذه الجريمة، عن بطولة القائد بيكار، عن الكولونيل هنري وعن انتحاره . قرأت في حكم المحكمة أن برءتي ظهرت وأنه ليس على مجلس الدفاع الذي أرسلت له سوى تصحيح الخطأ القانوني الرهيب. بعد ظهيرة الخامس من يونيو أرسلت هذه البرقية إلى زوجتي

(معك قلبا وروحا، مع الأطفال، معكم كلكم. انطلاق الجمعة. انتظر بفرح كبير اللحظة التي أعانقك فيها. قبلاتي)

في المساء نفسه وصلت قوات الدرك المسؤولة عن حراستي حتى موعد ترحيلي، شاهدت رحيل المشرفين، اعتقدت أنني في حلم أو خرجت من كابوس مخيف وطويل . انتظرت وصول السفاكس، مساء الخميس لمحت دخانا، عرفت أنها باخرة حربية، لكن الوقت كان قد تأخر عن ترحيلي . بفضل عطف عمدة كايين استلمت بدلة وقبعة وبعض الملابس اللازمة لأعود لفرنسا، وفي صباح الجمعة التاسع من يونيو في السابعة صباحا جاءوا لأخذي من جزيرة الشيطان. تركت أخيرا هذه الجزيرة اللعينة التي قاسيت فيها. السفاكس كان بعيدا جدا، حملني قارب الإصلاحية إلى حيث المرساة، لكن اضطررت للانتظار لساعتين إلى أن وافقوا على صعودي. البحر كان هائجا، القارب كان يترنح على الأمواج، على سطح الأطلنطي، مرضت ككل الدين كانوا على متنه.. تقريبا في العاشرة صعدت إلى السافكس حيث استقبلني الكومندو ورافقني إلى حجرة الضابط الثاني التي خصصت لي. تم وضع سياج للنافذة. أعتقد أن هذه العملية هي التي جعلتنا

ننتظر في قارب السجن، كان الباب من زجاج يحرسه عامل مسلح، في المساء شعرت بتحرك السفاكس، رفعنا المرساة وتحركنا . النظام الذي كنت أخضع له داخل السفاكس كان نظام ضابط موقوف، كان يسمح لي بساعة من التجوال على السطح صباحا وساعة مساء، أما في باقي اليوم، فكنت محجوزا في غرفتي. خلال إقامتي في سفاكس، كان سلوكي أشبه بالسلوك الذي نهجته منذ البداية ماعدا ما يتعلق باحتياجاتي اليومية، لا أفتح فمي. في الثامن عشر من يونيو وصلنا إلى جزيرة الرأس الأخضر حيث زود السفاكس بالكاربون . ثم انطلقنا ثانية يوم الثلاثاء العشرين من يونيو، الباخرة كانت بطيئة، ثمانية إلى تسعة عقود في الساعة . في الثلاثين من يونيو، لمحنا السواحل الفرنسية. بعد خمس سنوات من التضحية، عدت لأبحث عن العدالة، الكابوس الرهيب قارب على الانتهاء، اعتقدت أنهم أدركوا خطأهم وتوقعت أنني سأجد عائلتي في انتظاري وخلفهم زملائي ينتظروني بأذرع مفتوحة وعيون باكية. في نفس

اليوم، تبددت أوهامي، وواجهت أول خيبة أمل، أول شعور بالحزن والألم

في صبيحة الثلاثين، توقف السفاكس، وأخبروني أنه هناك مركب سيأتي لأخذي، دون أن يخبروني عن وجهتي. ظهر المركب الأول، لكنه كان مخصصا لبعض التدريبات البحرية، كل هذه التحركات وهذا الذهاب والإياب أشعرني بالتوتر، وأحسست بموجة من الأحداث الغامضة

في الظهيرة، بدأ السفاكس بالتحرك ببطء على الساحل. قرابة السابعة مساء، توقف من جديد. كانت ليلة مظلمة، جو ضبابي وأمطار، وعلمت أن سفينة بخارية ستأتي لأخدي ليلا. في التاسعة مساء، أعلموني أن القارب في انتظاري أسفل السفاكس ليقلني للسفينة البخارية التي لا يمكنها الاقتراب أكثر بسبب الجو الرديئ، كانت الرياح عاصفة والأمطار لا تتوقف، المركب كان يتحرك تحت علو الأمواج، لم يكن أمامي سوى الإسراع بالنزول، ضربت ساقي مع لوح خشبي. تحرك المركب تحت

الأمطار، ارتفعت حرارتي بسرعة، وبدأت أسناني بالاصطكاك من جراء هذا النقل ومن البرد والرطوبة، تمكنت من تمالك نفسي بصعوبة. بعد وصولنا إلى الباخرة البخارية، صعدت بصعوبة على السلم بسبب الاصابة في ساقي، استقبلت أيضا بالصمت نفسه، تحرك القارب البخاري، ثم توقف. كنت أجهل تماما أين كنت أو إلى أين أتجه، ولا كلمة وجهت لي.

بعد ساعة أو ساعتين، استدعيت إلى الداخل، كان لايزال الليل حالكا والأمطار مستمرة في الهطول، لكن البحر كان أكثر هدوءا، فهمت أننا في أحد الموانئ. في الثانية والربع صباحا، عرفت أنه ميناء هاليغان. هناك أدخلت إلى عربة مع نقيب عسكري وعسكرييِن بين صفين من الجنود، هذه العربة أخذتني إلى محطة القطار، ركبت مع نفس الأشخاص، دون أن نتبادل الكلمات. بعد ساعتين إلى ثلاثة ساعات من الانطلاق، نزلت في محطة أخرى ووجدت في انتظارنا عربة أخرى، أخذتنا إلى مدينة ثم

منها دخلت إلى ساحة، نزلت لأكتشف أنني في السجن العسكري للرين، كانت الساعة السادسة صباحا

في الأول من يوليو، في التاسعة صباحا، علمت أنني سألتقي زوجتي بعد دقائق في الغرفة المجاورة، كانت غرفة تشبه غرفتي بسياج خشبي لا يسمح برؤية الباحة، بمائدة و كراسٍ، كل مقابلاتي مع عائلتي والمحامين تمت هناك. شعرت بقشعريرة الدموع الحارة، انسكبت هذه الدموع التي لم أعرفها من فترة طويلة، لكنني تمالكت نفسي. لا كلمات بامكانها وصف مشاعرنا، عندما قابلتها حضر كل شي: الحزن والفرح والألم والسعادة. حاولنا أن نقرأ ملامح بعضنا، أردنا أن نقول كل شيء دفعة واحدة، كل المشاعر المخنوقة في فؤادينا منذ سنوات طويلة، لكن الكلمات لا تأتي، اكتفينا بالنظر نظرات متبادلة، وجود ملازم بيننا حرمنا من الخصوصية، ومن جهة أخرى كنت أجهل كل الأحداث منذ خمس سنوات. عدث بثقة، لكنها اهتزت بعد أحداث الليلة، كنت أريد أن أسألها، لكن لم

أجرؤ على ذلك، خفت أن أزعجها، ثم هي تحبذ أن أعرف التفاصيل من المحامي

سمح لزوجتي أن تزورني يوميا لساعة، قابلت أيضا كل أفراد عائلتي، لا شيء يساوي ذلك العناق الحار بعد كل هذه السنوات الحزينة . في الثالث من يوليو، قابلت السيد ديمونج والسيد لابوري، ارتميت في حضن السيد ديمونج الذي قدمني للسيد لابوري، شعرت بالارتياح مع السيد لابوري الذي كان أنيقا وشجاعا، محامي الحقيقة الذي أعبر له عن امتناني. ثم بعدها قام السيد دومنج بسرد خلاصة القضية، كنت أسمعه، بدأت أفهم كل حلقات هذه الدراما، هذا التقديم شرحه لي السيد لابوري بشكل مفصل. علمت عن الجريمة التي ارتكبت في حقي، عن البطولة والمجهودات والشهامة التي قام بها عدد من الشخصيات النبيلة ضد اللاعدالة والأكاذيب. انهار إيماني بالعدالة، ثقتي ببعض الناس، رؤسائي الواحد تلو الآخر، شعرت بالحزن والأسف والشفقة على هذا الجيش الذي أحببته يوما ما. في الظهيرة، قابلت أخي العزيز ماثيو رفيق

شدتي الذي ساندني منذ البداية بشجاعة وحكمة وإرادة قوية، والذي ضرب مثالا للإخلاص الأخوي

في الرابع من يوليو، سلمني المحاميان مستندات القضية، بحث غرف الجنايات، جلسات الاستماع النهائية أمام غرف محكمة النقض، قرأت قضية زولا في الليلة التي بعدها دون أن أبتعد مسافة شبر عنها، علمت كيف أن زولا أدين لا لشيء سوى أنه قال الحقيقة، اعتراني الألم كون أناس تسببوا في ظلمي، لكن في الوقت نفسه سعدت بأولئك الشجعان الذين ساهموا في إحقاق العدالة والدفاع عن مبادئ وثراث الإنسانية ...علماء، عمال، نبلاء، ومتواضعون

في النهاية، قرأت بإعجاب المرافعة التي ألقاها السيد مورنار أمام محكمة النقض، وقد ازداد إعجابي به بعد أن قابلته وعرفته عن قرب ولامست ذكاءه.

كنت أستيقظ بين الرابعة والخامسة صباحا، ثم أعمل طيلة النهار، أتصفح كل الملفات، كل صفحة كانت

تحمل بين طياتها مفاجأة، كومة من الحوادث، عدم شرعية الإدانة لسنة 1894.. الاجتماع السري لأعضاء لمجلس الدفاع... الدلائل المزورة التي أمَر بها الجنرال مرسي .. التواطئ لإنقاذ المذنب

في هذه الفترة أيضا استلمت عددا كبيرا من الخطابات من أصدقاء أعرفهم ومن أخرين أجهلهم، من كل جهات فرنسا ومن كل بقاع أوربا والعالم، لا أستطيع أن أشكرهم شخصيا، لكن سأقول لهم هنا: كم لامستم قلبي.

عانيت حساسية من تغير الطقس، كنت أشعر دوما بالبرد، وكنت أتغطى حتى في الصيف. في أواخر يوليو، أصبت بالحمى. بعدها خضت حمية تقتصر على الحليب والبيض، كل فترة إقامتي في رين ، كنت أضيف بعض الكولا

حددت بداية الجلسات بتاريخ التاسع من أغسطس

XI

لن أروي هنا تفاصيل جلسات الحكم في رين

تمت ادانتي بالرغم من اللاعدالة الواضحة وتم نطق الحكم تحت ظروف مخففة. أتسائل: متى كانت ظروف مخففة في جريمة الخيانة العظمى؟؟ بالنسبة للحكم الذي تجرأ على المصادقة عليه خمس قضاة، أنا أرفضه تماما . وقَّعْتُ على الاستئناف في اليوم التالي للحكم. كُنتُ على دراية بما جرى في مجلس الدفاع للاستئناف 1894، لم يكن لدي أي أمل، كان هدفي أن أذهب لمحكمة النزاعات لتكتمل العدالة والحقيقة التي بدأت، لكن لست لدي الوسيلة لأنه في القضاء العسكرية حتى تذهب لمحكمة النزاعات يجب وحسب قانون 1895 أن تتوفر على دليل جديد أو شهادة مزورة، هذا الاستئناف في مجلس الدفاع العسكري لم يمكِّنني الا من كسب بعض الوقت

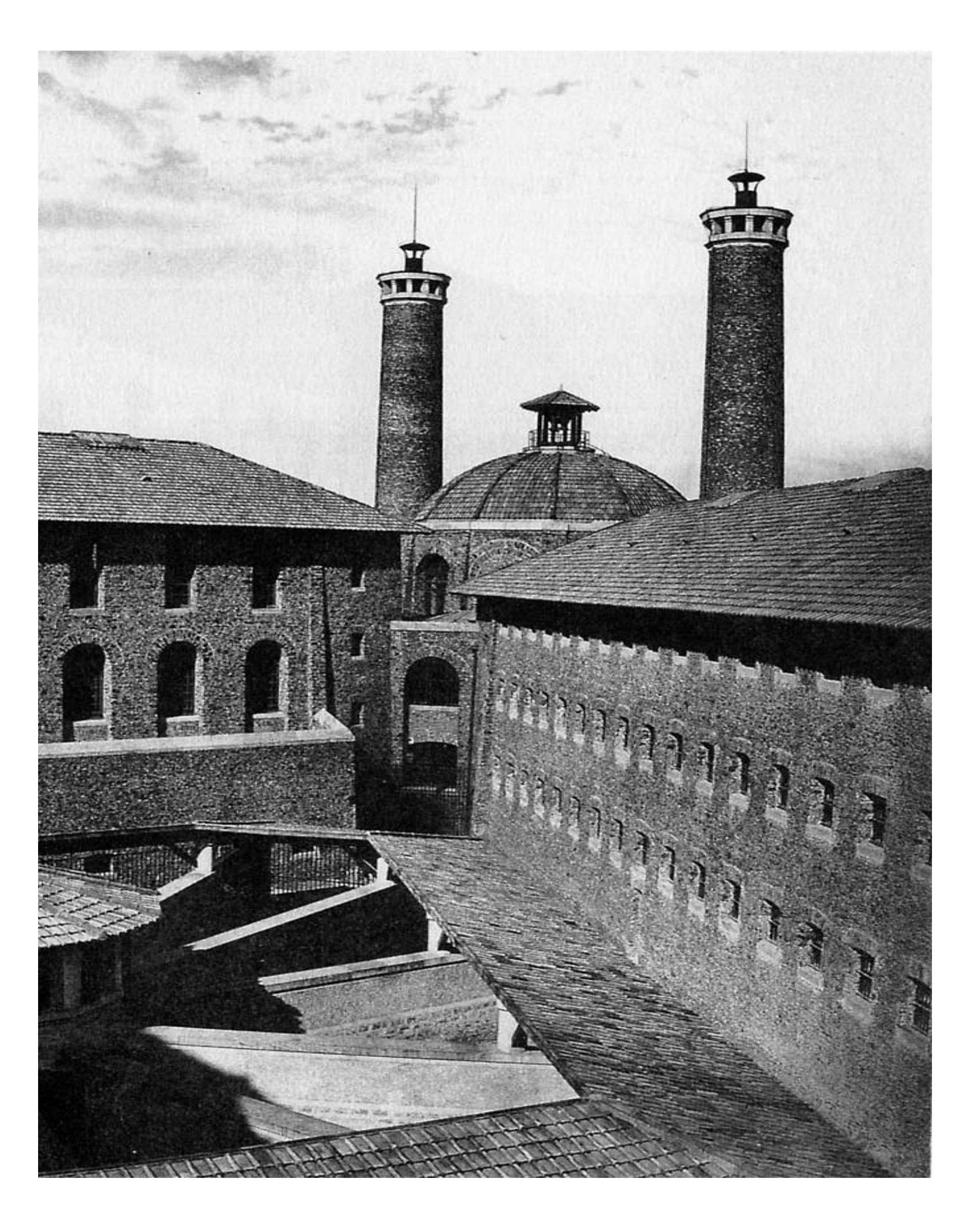
وقعت على الاستئناف في التاسع من سبتمبر، وفي الثاني عشر من سبتمبر في السادسة صباحا، كان أخي ماثيو في حجرتي، بتصريح من الجنرال كاليفي وزير الدفاع لزيارتي دون حضور شهود ، ليخبرني أنهم منحوني العفو، لكن لتوقيعه يتوجب أن أسحب الاستئناف، لم أكن أتوقع الكثير من هذا الاستئناف، لكنني لم أفكر في سحبه لأنني لست بحاجة للعفو، كنت متعطشا للعدالة، ومن جهة أخرى أخبرني أخي أنني لن أستطيع الصمود أكثر في ظروف المكان الذي سأنقل له.

ختاما، فكرت في معاناة عائلتي وطفليّ اللذين لم أرهما منذ وصولي لفرنسا، فقررت سحب الاستئناف. في يوم إطلاق سراحي كتبت عبارة كانت تترجم فكرتي

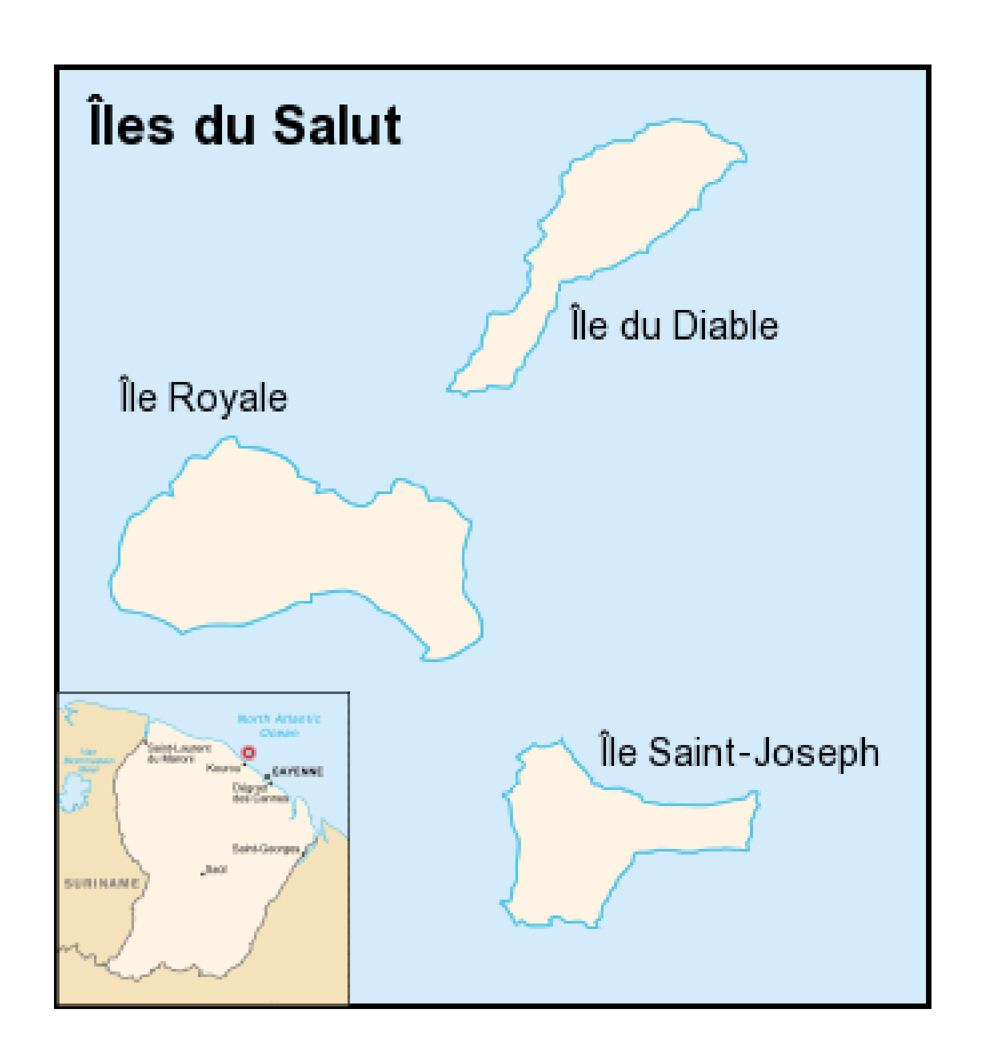
(حاكم باريس أطلق سراحي، هذا السراح لا يساوي شيئا عندي من دون شرفي، عليّ أن أصحح الخطأ القانوني الذي كنتُ ضحيته. أريد أن تعرف فرنسا كلها

بحكم نهائي أنني بريئ. لن أرتاح قبل أن يدفع كل مذنب ثمن جريمته)

النهاية



سجن الصحة /شارل مارفيل


Îles du Salut
Île du Diable
Île Royale
Île Saint-Joseph
CAYENNE
SURINAME

جزر صالي



ألفرد دريفيس

عن المؤلفة

بشرى رسوان

المغرب



إصدارات المؤلفة

1- ما بعد الجنون: 9 قصص قصيرة. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?t3hksxxt6v x161f

2- قلم وفنجان: 22 قصة قصيرة جدا. دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني: ط1، أغسطس 2015.

http://www.mediafire.com/?la5y6z0u7e 6josh

3- نصوص ذاكرة أنثى المطر

file:///C:/Users/user/Downloads/ebook_ 332448%20(2).pdf

4- بشرى رسوان: اعترافات كرسي الانتظار: رواية. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، فبراير 2016.

http://www.mediafire.com/?3suvim00ago3gce

صدر في هذه السلسلة

1- مختارات من شعر الهايكو الياباني. ترجمة: عبد القادر الجموسي. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، نوفمبر 2015.

http://www.mediafire.com/?34bihrrpyq10siw

2- ألفرد دريفيس: خمس سنوات من عمري (1894-1899): جزيرة الشيطان. ترجمة: بشرى رسوان. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، يناير 2017.

فهرس